الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
سلسلة الوفاء (3)

الأستاذ محمد بن مسعود فشيكة
1904 - 1990
كلمات في تأبينه وبيان آثاره

تقديم وتوثيق
الدكتور محمد مسعود جبران
كلية اللغات - جامعة الفاتح



1998ف

الطبعة الأولى

1428 ميلادية 1998 افرنجي

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

منشورات
مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
سلسلة الوفاء (3)

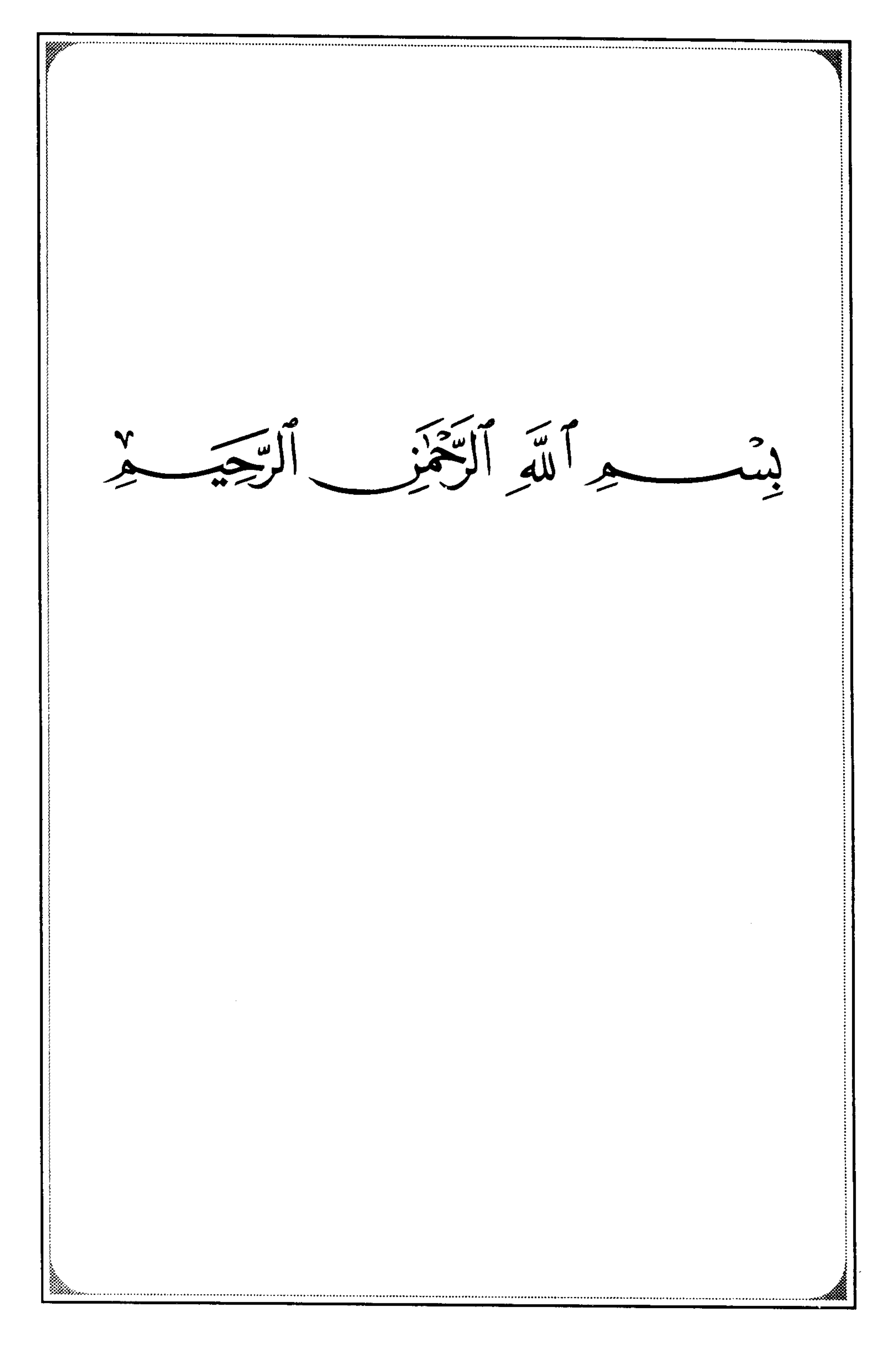
الأستاذ محمد مسعود فشيكة

1904 ـ 1990

كلمات في تأبينه وبيان آثاره

تقديم وتوثيق
د.محمد مسعود جبران
كلية اللغات ـ جامعة الفاتح

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
1998ف


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهـداء

إلى روح المربي الفاضل الأستاذ

محمد مسعود فشيكة

نرفع هذه الكلمات الصادقة من
عارفي فضله، تقديراً لكفاحــه
وعطائه المحمودين في النهوض
برسالة التربية والتعليم في ليبيا.



محمد مسعود فشيكة

1990 ـ 1904

التقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، أما بعد

فهذا الكتاب المعنون بـ «الأستاذ محمد بن مسعود فشيكة ـ كلمات في تأبينه وبيان آثاره» هو الكتاب الثاني[1] من سلسلة كتب الوفاء التي يصدرها مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. فقد صدر الكتابُ الأول من هذه السلسلة متضمنًا كلمات التأبين الصادقة ـ منظومة ومنثورة ـ في تحية وتقدير فقيد العلم والأدب صديقنا الأستاذ عبد الله محمد الهوني ـ رحمه الله ـ والذي نَعِمَ بجوار ربه الكريم في سنة (1409/ 1988)[2].

وسوف يصدر المركز بعد هذين الكتابين كتابًا ثالثًا في الوفاء مشتملاً على خوالج الإكرام لذكرى أستاذنا المؤرخ محمد الأسطى ـ أكرم الله مثواه ـ والذي غادر الدار الفانية بعد رحيل ذينك الأستاذين[3].

وظاهرة الوفاء التي ما فتئ ينهض بها هذا المركز الموقر في إِحياء ذكريات

---

(1) هكذا كان ترتيب سلسلة كتب الوفاء في الأصل، ولكن حدث فيه تغيير بصدور كتاب الوفاء في تأبين صديقنا الأستاذ عمر وسعيد بغني ـ رحمه الله ـ وقد قام باعداده الصديق الأستاذ مختار الهادي بن يونس.

(2) صدر هذا الكتاب في سنة (1410/ 1989).

(3) ولد الأستاذ محمد الأسطى في مدينة طرابلس سنة (1318/ 1900) وتلقى تعليمه الأول بها، ثم واصله في تركيا، عاد إلى طرابلس الغرب سنة (1338/ 1919) وعمل بالتجارة ثم التحق بالتعليم إلى أن عيّن مترجمًا في دار المحفوظات التاريخية سنة (1375/ 1955) وقد شارك بالعديد من المقالات والبحوث التي نشرت في العديد من الدوريات مثل مجلة «الأفكار» و«طرابلس الغرب» و«الشهيد» و«مجلة البحوث التاريخية» وتوفي في سنة (1412/ 1991).

راجع ترجمة حياته في كتابه المطبوع «ورقات مطوية»، وشريط الذكريات في جريدة الأسبوع الثقافي.

رجال الوطن المخلصين من رواد الفكر والكلمة، وأرباب السيف والحرف، والباذلين حياتهم في الرقي بتعليمه وأدبه وثقافته، والمتفانين في إعلاء شأنه بين الأوطان والبلدان ـ على الرغم من الظروف المعاندة المعوّقة، والعواثير المثبطة ـ تُعدّ ـ بلا ريب ـ ظاهرة إنسانية جليلة، وخلّة حضارية محمودة تدل في مدلولها القريب على صفاء النحيزة، وحفظ العهود لمن صلح من السلف، والعرفان بالأيادي السخيّة التي بذلوها في أريحية إبّان الأزمان التي خاس فيها الكثير من الباخلين بالمواثيق نحو البلاد والعباد، كما تومىء في مدلولها البعيد إلى إرساء تقاليد عميقة محترمة، تعارفت عليها الأمم والشعوب في القديم والحديث في إعلاء شأن المجدّين والطامحين، ووضع المعالم والصُوى في طريق المستقبل للتفريق بين الذين يعشقون الوطن عشقاً عذرياً، وتذوب من أجل محيَّاه مهجهم المحبّة، ونفوسهم الوامقة، وبين أولئك الحسيين الانتهازيين، الذين لا يكادون يرتبطون بمطامحه بولاءٍ، ولا يشدّهم إلى نهضته وفاء، إلا بمقدار ما يستحلبون أثداء عطائه وخيره ومقدّراته، ويمتصون من أفاويق رحيقه بكل بلادة وصفاقة. .

ومن غريب الاتفاق الذي يجمع بين هاتين الشخصيتين المحببتين في الكتاب الأول والثاني ـ وقد جمعتني بالرجلين علائق وثيقة أعتز بها، وخبرت من أحوالهما الكثير ـ أن من أبرز المشابه في حياتيهما الحافلتين ـ كما تجلوه الكلمات المكلومة المخلصة في رثائهما ـ هذا العشق الروحي الذي تضلعا به، والذي لا يكاد ينتهي عند حدٍّ لهذا الوطن العزيز، ولأبنائه الأوداء، وهذا الإخلاص الصافي من شوائب الملق، والتفاني النادر في حبِّ العلم وبثه، والانحياز إلى التعليم ونشره، وبذل الطاقات، والساعات بل الأعمار في تنوير العقول، وتوسيع دائرة المتعلمين في هذه الرياض العطشى، والسخر من ألوان الجهل الفاضح، ومن التزيّد الزائف، ومن أولئك الواهنين الذين يحرصون على التلبس بهما[1]: ـ

ولم أر في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين على التمام

والذين عرفوا الرجلين في أبعادهما الإنسانية كما عرفتُ ـ على اختلاف ما بينهما في السن، وفي الظروف المرحلية والعامّة التي تقلبا فيها ـ يدركون ما بينهما من الأواصر التامّة في علوّ الهمّة والعزيمة، وفي الإباء والعصامية، وفي روح

(1) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدته الميميّة التي يذكر فيها الحمّى التي كانت تنتابه في مصر، الديوان 4: 142.

العطف والمحبَّة، وفي الصلابة وبُعد النظر، مع ما يصحب ذلك من دماثة الخلق، ورقة الحاشية، وعذوبة النادرة، وسرعة البادرة، التي كان يتحلى بها كلٌّ منهما في عمله ومعاشرته الناس.

ومن غريب الاتفاق أيضًا أن يكون الرجلان من خريجي مهيع واحد، أَو إن شئت قلت كليّة واحدة، وهي كلية دار العلوم التي حفلت على مدى تاريخها الطويل بالجلّة من الأساتذة والشيوخ المبرّزين ـ كما ذكر في ترجمتيهما ـ فقد كان أستاذنا محمد بن مسعود فشيكة مجلى هذا الكتاب أولَ ليبي تخرّج من دار العلوم بتفوق في سنة (1354/ 1935) كما كان الصديق الأستاذ عبد الله محمد الهوني من خريجي هذه الدار المتفوقين في سنة (1391/ 1971).

وفي ذلك الملمح ما فيه من الدلالة على ارتباط سندنا العلمي والثقافي في ليبيا بالسند المعرفي في مصر ذات الدور الفكري التاريخي غير المنكور من جهة، ومن جهة أخرى فيه من الدلالة على أَن العناصر أو الطلائع الليبية المثقفة ـ ممن قدّر التعريف بها وممن لم يقدّر ـ والتي عملت على ربط هذا السند بغيره من الأسانيد في مصر وفي غيرها من العواصم والأمصار العلمية العريقة، أنها لم تكن قاصرة أو مقصّرة، كما أَنها لم تكن مؤثرة ـ إبّان تلقيها ـ متعة الراحة والإسترخاء بل كان حظها ـ كما تجلوه سيرتا هاذين الراحلين الكريمين ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ التفوق والتبريز اللذين تأسَّس عليهما بعد عودتهما إِلى بلادهما ليبيا البذل الموصول، والنتاج الطيّب، والماء القراح الذي اهتزت به الأرض وربت.

على أني لا أريد في هذا التقديم الإطالة في هذه الموازنة بين شخصيتين شرفت بمصاحبتهما زمنًا رغدًا ـ الأستاذ محمد بن مسعود فشيكة، والأستاذ عبد الله محمد الهوني، موضوعي الحلقتين الأولى والثالثة من هذه السلسلة الوفائية، ضرورة أن الخواطر الزاخرة، الحفيلة بالعواطف والتصوير، والمثبتة فيهما بتحرير وتحبير النخبة من الأدباء والكتّاب، قد أَبانت بجلاء الكثير من أبعاد تحصيلهما وعطائهما، كما جلت ملامح من خلالهما النفسية، وإننا لعلى يقين تام بأن تتولى الحلقات القادمة الكشف الأمين عن مكامن العظمة والتأثير في شخصيات وطننا العاشقة المعشوقة، فما أبخس قيم الأوطان وما أكثر هوانها على الناس إِذا لم يحظ عشاقها العذريون بالتقدير والتوقير.

وبعدُ؛ فإني أرى من النصفة أن ألمح في ألفاف هذا التقديم إلى تلك الجلسة التي التقيت فيها مع الدكتور محمد الطاهر الجراري أمين مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية في مكتبه صبيحة يوم من أيام الربيع سنة 1991، والتي تمَّت فيها المبادأة بطرح وتبني فكرة موضوع حفل تأبين الأستاذ المؤرخ محمد بن مسعود فشيكة، واقتراح الأسماء التي يتوقع وينتظر مشاركتها من الأَساتذة زملاءِ ابن مسعود وتلاميذه، وكيفية الاتصال بأهله والتنسيق معهم، وفي الحق فإني لا أخفي عن القارئ الكريم ما اَستبدّ بي في تلك اللحظات من شعور غامض خفي اقترن ساعتئذٍ بتوقع إخفاق هذه الفكرة التي تبناها الدكتور الجراري بحرصه المعهود في زمن مادي شغل الناس فيه بمعضلاتهم، ولست أَدري كيف انتابني الإحساس الغريب بعدم نجاح مثل هذا الحفل التكريمي، ظناً مني و﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1] أَن أستاذنا محمد بن مسعود قد طال عمره، وامتدت سنوات حياته في الوقت الذي غادر فيه الكثير من لداته وعارفيه، بل من تلاميذه الأول مسرح الحياة قبله، وأنه آثر في أخريات حياته ـ اختياراً، أو اضطراراً ـ الاعتزال؛ فتوهَّمت من تلك الهواجس المسيطرة، والتحسبات الطارقة مجتمعة قلَّة عدد من سوفَ يلبي الدعوة، بل المنتظرين لإعتلاء منبر التأبين والتكريم، الذين يرجى منهم ومن أقلامهم، ومن ومضات عقولهم نشر ما عرفوه من فضله في الجيل القديم بين الجيل الجديد، وانتهت تلك الجلسة بعد وضع تصور إبتدائي، تلته مكاتبات واتصالات، ثم جاء بعدئذٍ دور لجنة الموسم الثقافي بالمركز للإعداد لهذا الحفل، فخفّت أريحيتها بحيوية شبابها إلى البر بهذا الشيخ الراحل وفاق التوجيهات والترتيبات المعدّة المعتمدة، وعملت في وقت قصير بحماسة ودأب إلى أن حققت المرجوَّ منها، حتى إذا كان الموعد المقرَّر للتأبين الذي التأم في «قاعة الشهيد» بالمركز في مساء يوم الأربعاء (6 شعبان 14/20 ـ 2 ـ 1991) كانت المفاجأة التي أثلجت الصدور، فقد ذهلت كما ذُهل غيري ـ بما امتلأت به القاعة من الحضور، ومن تقاطر فضلاء الكتَّاب والشعراء وأَساتذة الجامعة والباحثين، وأَعيان المجتمع ووجهائه، ومن تلاميذ الأستاذ القدامى الذين دخلوا في طور الشيخوخة والكهولة، وبما حفلت به بعض أَركانها من

(1) الآية 12 من سورة الحجرات.

إقامة معرض رمزي أنيق مثّل المحتفى بذكراه في أطوار من حياته شابًا وكهلًا بالعمامة والطربوش وأبرز شهاداته التاريخية التي نالها في النصف الأول من هذا القرن من الأزهر الشريف، ومن كلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول، وجسّد نماذج طريفة من خطوطه ورسائله، والأوسمة والبراءات التي حُلّي بها في عهد الثورة، مع عرض نماذج من تآليفه وكتبه، كما راقني في ذلك المقام، وفي سويعات الحفل ما وقفت عليه من معنى رائق شائق تمثل في أن الوفاءَ لم ينضب، وأن العرف بين الناس لمْ يذهب؛ فقد تسارع الأساتذة الذين اقترحت أسماؤهم إلى منبر الخطابَة والتّأبين، كما تداعى غيرهم ممن ذُهل عن ذكر أسمائهم في تلك الجلسة الصباحية إلى طلب الكلمة لبيان ما للرجل عليهم، وعلى جيلهم من فضل؛ فاذكرني ذلك كلمة كان يجيلها أستاذنا ابن مسعود على لسانه وهي «أن الحقيقة لا تعدم أنصارًا» أو قوله يعرض ذلك المعنى في معرض آخر بموضع من كتابه الرحلة حيث يقول: «إن الحقائق في كلّ زمان ومكان لا تعدم أنصارًا لها ميسرين لخدمتها بما تنشأوا عليه من محبّة الصدق، وحرية الضمير، واستقلال الفكر، وصراحة في القول، ونزاهة في المقاصد، وهذه الأحوال في بعض النفوس سجايا متوارثة من دماءٍ بعيدة، أو مكتسبة عن غيرها من أيام الصغر في بيئة خاصة أو مجتمعات عامة، ولا يعترف بوجودها عند فريق من الناس إلا من كان على صفة أولئك الميسرين»[1].

ولعمرُ الحق إنه لو قدّر لروحه الراضية أن تشهد ساعات ذلك المجلى البهيج الذي تدفق فيه فيض الفضلاء من أترابه وأبنائه بالخلجات الوجدانية، وبالمشاعر الإنسانية النقية، لتأكّد لديه أَنه كان يصوّر بتلك الكلمة الحكيمة نفسه التي أَحبت الحقيقة، والجمع الكريم الميسَّر الذي تعشّق الحقيقة بإنصافه، ولنسي أستاذنا بذلك ما لقيه في فترات من مسيرة حياته من جحود الجاحدين، وعناد المناكفين الذين ضاق ـ عهدًا عهيدًا باستعلائهم الأجوف، وصلفهم الفج ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[2].

---

(1) كأنك معي في طرابلس وتونس: 11/ (ع) 12/ (ش).

(2) الآية 13 من سورة الحجرات.

ذلك ما رأيت من النصفة التذكير به في هذا التقديم لهذا الكتاب المجعول للوفاء لرمز من رموز العلم والتعليم في وطننا العزيز «ليبيا».

وعندما اعتزم المركز إصدار تلك الروائع النفسية والشعوريّة المتلوّة في ذلك الحفل التأبيني في كتاب ضمن إصداراته الثقافية، وطلب إليَّ أمينه مشكورًا أن أنهض بعبء إعداده وتقديمه والإشراف عليه، استجبت لهذه الدعوة، ورأيت فيها دينًا مستحقًا يجب عليَّ الوفاء به لأستاذي؛ فجمعت مادته، ولم ألق في ذلك عُسرًا، وقَدَّمتُ له بهذا التقديم الذي آمل ألا يكون مُملاً ـ وآثرت أن أنشر في ختام تلك الكلمات اللمحة أو الخلاصة العامة التي كتبها الأستاذ ابن مسعود عن حياته في سياق كتابيه «كأنك معي في طرابلس وتونس»، و«رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه ضد الطليان»، وذلك لسببين وجيهين:

الأول: لتضمنهما معلومات دقيقة عن جوانب من حياته العصامية المكافحة منذ نعومة الأظفار، وتصويره الأمين لخوالج وجدانه وأحاسيسه، وهي الحقائق التي اعتمد عليها الكثير من مترجميه في الحديث عنه، وإخالني مُصيبًا إذا رأيت أن من الإمتاع أن يطلع القارئ الذي ليس في مكنته ـ الرجوع إليها في مظانها المذكورة ـ وبخاصة أن الكتابين قد نفذت طبعتاهما منذ سنوات بعيدة ـ على نسقهما الطريف.

والآخر: يتجلى في أن هذا الذي كتبه الأستاذ بقلمه البليغ عن حياته بأمانة وموضوعية، بل ببوح يشبه الاعتراف ـ يمثّل ما يعرف في فنون الأدب العربي فن السيرة الذاتية، أو الترجمة الذاتية ـ وهو فن نادر، وقليل في الأدب العربي في ليبيا، ولعلي لا أعدو الصواب إذا قلت إن ابن مسعود يُعدُّ من السابقين إليه، وكم كان مفيدًا لتاريخنا الثقافي والأدبي لو انتهج الشيوخ والأدباء والكتَّاب قبله وبعده نهجه في كتابة مثل هذه الترجمة الذاتية، التي لا تلقي ـ في رَأينا ـ أضواء مهمة على سيرة المترجم به فحسب؛ بل تلقي أضواء على جوانب أساسية من الحياة الثقافية والفكرية في ليبيا والبلاد العربية أيضًا. وبهذا الاثبات لهذه اللمحة أو الخلاصة نضع بين أيدي دارسي الأدب وشداته نصًا أدبيًا ممتازًا في فن السيرة أو الترجمة الذاتية يمكننا من خلالها أن نستفيد حقائق ودقائق مهمّة.

ولا بدَّ من التنبيه هنا إلى أني لم أشأ أن أنشر تلك السيرة مجرّدة كما كتبها صاحبها في كثير من التواضع والإختصار؛ بل عمدت إلى التذييل عليها

بحواشٍ وهوامش يغلب على ظني أنها تميط اللثام عن الغوامض من أسماء الشخصيات والأحداث ذات التأثير في تكوين المترجم له الثقافي والعملي.

ثم أردفت تلك اللمحة أو الخلاصة بمسرد الكلمات المنصفة التي شارك بها الكتّاب والأدباء والمؤرخون في ذلك الحفل التكريمي، أو في عرض كتب الفقيد ونقدها، وأخترت منهجًا ملتزمًا في تذييلها وعرضها تمثل في كتابة سطور وجيزة دالّة عن حياة أصحابها الميسرين عرفانًا بإنصافهم للراحل عن دنيانا، وتنويهًا بأدوارهم المشكورة في تقدّم وطنهم المقدَّر لجهودهم في شتى الميادين، ورتبت كلماتهم المنصفة ـ مراعاة لشرط الوفاء المقدّم عندي على كلِّ شرط ـ حسب أسنانهم وسابقتهم ـ حفظهم الله جميعًا، وأمتع بهم، وأحسن إليهم في الدارين.

وعلى الرغم مما يلحظ في بعضها من تكرار فقد حافظنا على سياقه حسبما جادت به القرائح، وفاضت به المشاعر المتجانسة.

وقد أثبت في هذا الكتاب التقديري إلى جانب ذلك كلّه قطوفًا اخترتها من آثار المؤرخ الأديب القلمية، تجلو مظهرًا من أسلوبه الأدبي والتاريخي والاجتماعي، وحليّت الكتاب التذكاري بعدد من الصور للذكرى، تبرز الأستاذ ورفاقه في أطوار من حياته، وفي نشاطه الزاخر المتفاعل.

وفي ختام هذا التقديم، فإنه يسعدني كثيرًا أن أتقدم بالشكر خالصًا إلى مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، وإلى أمينه العام الدكتور محمد الطاهر الجراري، وإلى اللجنة المحترمة التي نهضت بعبء القيام بذلك الحفل التأبيني الناجح، وإلى الأخوة الباحثين والعاملين فيه، وإلى أسرة الفقيد محمد بن مسعود فشيكة على تعاونهم المحمود، وتحيَّة تقدير إلى الأساتذة الفضلاء الذين ساهموا بمنثورهم ومنظومهم في الوفاء للأستاذ ابن مسعود، كما أسأل الله تعالى الذي لا يلت من أعمال الناس شيئًا أن يتغمده برحمته الواسعة، وأن يلحقنا به وبالصالحين على ما نحبُّ ونرضى، إنه خير مأمول، وأعظم مسؤول، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

د. محمد مسعود جبران

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

كلية اللغات ـ جامعة الفاتح.



الدكتور محمد الطاهر الجراري أمين عام مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

كلمة الدكتور محمد الطاهر الجراري(*)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

حضرات السيدات والسادة.

هذه أمسية أردناها، أو أرادها الله سبحانه وتعالى أن تكون ذكرى وتذكيرًا بشخص افتقدناه منذ مدّة قليلة وهو الأستاذ المربي محمد بن مسعود فشيكة ـ رحمه الله.

أيُّها السادة، قيل إن الخلود صفة من صفات الذات العليا، ذات الله وحده الخالق الباقي الذي لا يزول ولا يموت ولكنَّ الإنسان يستطيع على نحو ما أن يبقى، وأن يخلد عبر أعماله الخيرة، وسيرته الطيبة، وقد ظل هذا الإنسان منذ أن خلق الله الكون، ومنذ أن خلق هذا المخلوق الضعيف القوي فوق هذه الأرض يسعى إلى الخلود، ولكنه عجز عن الوصول إلى الخلود الأبدي، إذ كان دومًا عرضة للموت المفني القاهر، ومع ذلك فقد استطاع أن يصل ـ على الرغم من وهنه وعجزه ـ إلى شيء من الخلود بما يتركه في صفحات التاريخ

(*) الدكتور محمد الطاهر الجراري، أمين عام مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، يذكر له دوره الفعال في تأسيس هذه المؤسسة العلمية وإنجاح برامجها الثقافية والفكرية، ولد في آقار سنة (1359/ 1940) وتحصل على درجة الليسانس من كلية الآداب سنة 1964، ثم رحل إلى الولايات المتحدة الامريكية لينال درجة الماجستير في الأدب الأغريقي اللاتيني، ودرجة الدكتوراه عن تاريخ الرومان بشمال أفريقيا سنة (1395/ 1975) من جامعة ويسكنسن ماديسون. ثم عاد إلى أرض الوطن ليتولى رئاسة قسم الجهاد بالجامعة حتى إذ أسس مركز جهاد الليبيين في سنة (1398/ 1977) أسندت له رئاسته فتولى الإشراف على برامجه، وتسيير أعماله العلمية والبحثية إلى أن صُيّر بجهوده وجهود الباحثين من أحسن المؤسسات العلمية في ليبيا وفي البلاد العربية. .

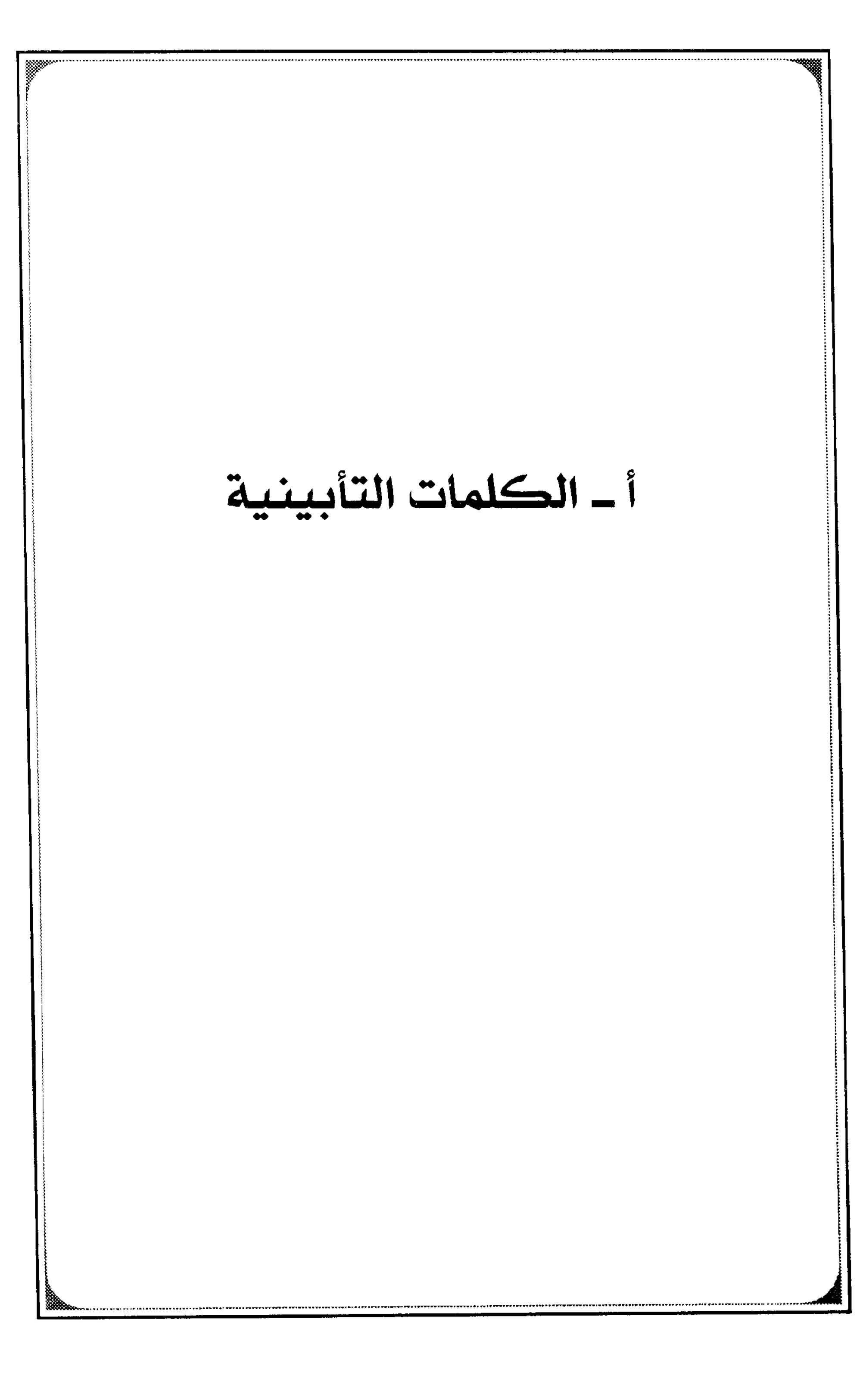
من الأعمال والمآثر والاسهامات، التي يخلدها التاريخ الذي نقرأه، ونعلمه للأجيال جيلاً بعد جيل. فمن هذا المنحى وحده قدّر للإنسان أن يخلد اسمه وأن يبقى ذكره.

والأستاذ محمد بن مسعود فشيكة الذي نجتمع اليوم لإحياء ذكراه، والإشادة بأعماله في رحاب مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، هو من هذا الرعيل الذي ساهم ببذله وعطائه في الرقي بالوطن وبتوسيع دائرة المتعلمين في البلاد في أصعب الظروف وأشقها فاستحق أن نجتمع في هذا المجلس الكريم - أصدقاء له وتلامذة وعارفين - لننوّه بفضله، ويذكره تاريخنا ويخلده.

إننا نقوم بهذا الواجب من باب الوفاء والولاء والإكبار لرجالات هذا الوطن الذين مهّدوا بجهودهم وعرقهم وكفاحهم السبيل لنا، وأعطونا الفرصة السانحة التي ننعم اليوم بها، إذ لم يكن الجهاد في مفهومه الشمولي مجرد الجهاد بالسيف وحده، ولكن الجهاد يتسع ليشمل القلم والكلمة في مختلف المجالات الإجتماعية والإقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية.

إن أستاذنا محمد بن مسعود فشيكة - رحمه الله - كان مثالاً للنموذج المكافح المناضل، وقد افتقدناه فسبب فقده الكثير من الحسرة والألم في نفوسنا وفي نفوس تلاميذه ومحبيه، وأبناء هذا الوطن الذين عرفوا مكانته، وقد آلمنا كثيرًا أن يرحل عنا بعده صديق من أصدقائه، ومن أبناء جيله الأستاذ محمد الأسطى الذي توفي البارحة، وهو من ذلك الرعيل الذي كنا نتكئ عليه في وقت الملمات ونعتز به، ونأنس بعلمه وتواضعه وتدقيقه، فرحم الله الأستاذين الراحلين، وأثابهما خير الثواب على ما ساهما به في حياتنا وتاريخنا.

والآن نفسح مجال القول للأساتذة الفضلاء من أصدقاء وتلاميذ الأستاذ محمد بن مسعود لإلقاء كلماتهم التكريمية، التي لا نشك في أنها تلقي إضاءات على حياته الخصبة.



أ ـ الكلمات التأبينية





الأستاذ إسماعيل أحمد السويح والأستاذ محمد مسعود فشيكة

في مدينة رباط الفتح بالمغرب

كلمة تأَبينية في وفاة
الشيخ محمد بن مسعود

الأستاذ اسماعيل أحمد السويح(*)

أيُّها السادة، وأيتها السيدات؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لي الشرف أن أحضر حفل هذا التأبين لإحياء ذكرى وفاة صديقي الشيخ محمد بن مسعود الذي أبلى بلاءً حسنًا في ميدان التربية والتعليم، وكان مخلصًا في آداء واجب هذه الرسالة، سواءً في الفصل الدراسي أو من خلال ما ألَّف من كتب في تاريخ هذه البلاد.

كان أول لقائي به عند عودته من مصر إلى بلاده، وكان ذلك في سنة 1935، وقد ظفر بإجازة تدريس من دار العلوم، وكانت مستقلَّة عن الأزهر، وكان لهذه الدار وزنها وقيمتها في ميدان العلوم اللغوية والأدَبية.

وكان لقاؤنا في تلك السنة (1935) في مكتب أستاذنا الشيخ محمد كامل الهمالي[1] الذي كان يشغل في ذلك الوقت منصب المفتش العام للتعليم الإبتدائي في القطر الليبي، وكان التعليم في ذلك الوقت مقتصرًا على تعليم

(*) الأستاذ اسماعيل أحمد السويح في الطليعة المحترمة من رجال التربية والتعليم المساهمين في تكوين الأجيال المتعاقبة، ولد في سنة (1330/ 1911) ونهض بعد دراسته وتحصيله بالتدريس في العهدين الايطالي والبريطاني، وكلف بعدها بالتوجيه وإدارة تعليم الكبار، وتولى مناصب أخرى خارج بلاده واشتهر بدماثة الخلق والثقافة، وصفاء السريرة والاخلاص، وكانت وفاته في عام (1413/ 1992).

(1) من رجال التعليم الذين قدّر لهم الإسهام في خدمة ليبيا في ظروف قاسية، ولد بطرابلس سنة (1303/ 1885) وتخرج من معهد أحمد باشا والمدرسة الرشدية. ثم تخرج وتولى التدريس فكان اول مدرس ليبي رسمي، وألف أول كتاب تعليمي سمَّاه «إلى الحياة» وكون أول دورة تجهيزية للمدرسين سنة (1363/ 1944) وقد حلاّه شيخنا محمد عبد الغني =

اللغة العربية والدين في تلك الحقبة الإبتدائية، وقد أعجبت بفصاحة المرحوم محمد بن مسعود، وبأسلوبه في التعبير.

أيُّها السادة، وأيتها السيدات.

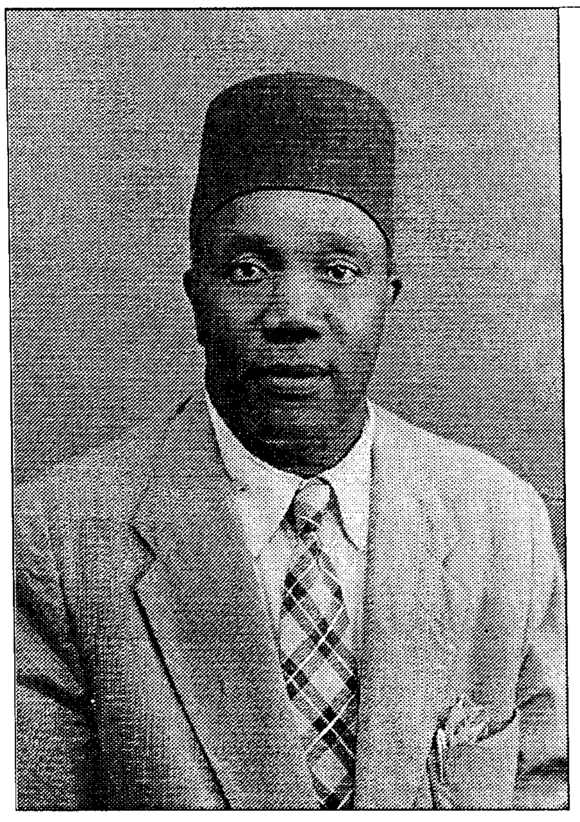
ثم لم تعد فرصة للقاء بالأستاذ محمد بن مسعود، إلا لمامًا، لإنني كنت في ذلك الوقت مدرسًا في المدرسة الابتدائية بزليطن، أما الأستاذ محمد بن مسعود فقد عُيّن مدرسًا في المدرسة الإسلامية العليا بطرابلس، ثم قامت الحرب العالمية الثانية، وعملي استمر دائمًا في دواخل القطر، ولا أعلم عن الأستاذ محمد شيئًا خلال تلك الفترة، فلما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، واستقر الحالُ عينت مفتشًا للتعليم الابتدائي في المقاطعة الشرقية.

وفي سنة 1962 أوفدت ضمن وفد ليبيا إلى بيروت في دورة دراسية مدتها ثمانية أشهر لتدريب كبار موظفي التعليم في البلاد العربية، نظمتها هيئة اليونسكو، ومركزها بيروت، وخلال تلك المدّة التقيت بالأستاذ محمد بن مسعود الذي جاء إلى بيروت مع مجموعة من الأساتذة الليبيين؛ ففوجئت بهم ودعوتهم، وكنت أسكن في الجبل، وتجولت بهم في معالم الجبل، وكان الأستاذ محمد بن مسعود مرحًا، لطيفًا في أحاديثه، بليغًا في عباراته، مأخوذًا بروعة جمال جبل لبنان.

وفي سنة 1966 ـ على ما أذكر ـ كنت مستشارًا ثقافيًا لسفاراتنا في تونس والجزائر والمغرب، وظهر لسفارتنا بالمغرب أن تقيم معرضًا للكتاب بمناسبة أَحد الأعياد الوطنية، فكتب إليَّ وزير التعليم والتربية بالموضوع، ووقع إختياري على الأستاذ محمد بن مسعود ليساعدني في ذلك، وأعددنا العدة لإقامة المعرض، ولقد وجدت فيه نعم المساعد والمعين، ونعم العالم الباحث.

ثم كانت لنا عدّة دعوات لحضور حفلات رسمية، كما قمنا بجولات ـ أنا والأستاذ محمد ـ في بعض مدن المغرب، وزرنا ضريح يوسف بن تاشفين المدفون في مدينة مراكش؛ وكان نعم الرفيق ذي الحسِّ التاريخي العميق، والملاحظة العلمية الرصينة، ولقد كان للأستاذ محمد بن مسعود ـ رحمه الله ـ

= الباحقني في الترجمة التي كتبها لنفسه بقوله «الأستاذ محمد كامل الهمالي ـ جزاه الله خيراً على خدمة لغة العربية، وتاريخه الإسلامي في وطنه الذي كان يئن وقتئذٍ تحت نير الاستعمار الايطالي والحكم الفاشستي الرهيب».



إسهاماته المتميّزة في مجال التأليف؛ فلقد أثرى المكتبة الليبية في وقت كان فيه التأليف المحلِّي أمرًا نادرًا؛ ولعلنا جميعًا نذكر سلسلة كتبه «تاريخ ليبيا العام» التي تتلمذ عليها الكثيرون من الطلبة خلال الخمسينيات، ووجدوا فيها ضالتهم المنشودة فيما يتصل بتاريخ بلادهم، وكفاح شعبهم.

ولقد كان الأستاذ محمد ـ رحمه الله ـ من رواد التأَليف المدرسي في هذه البلاد، وهذا جانب بحاجة إلى دراسة متأنية من الإخوة البحاث في المجال التاريخي، ومجال التأليف المدرسي وفاء وعرفانًا لذكرى هذا الرجل وزملائه من رواد الكتابة في هذه البلاد.

وقد صدر للمؤلف أيضًا كتاب بعنوان «كأنك معي في طرابلس وتونس» وهو من أدب الرحلات وقد وصف فيه المؤلف وصفًا شائقًا زيارته لتونس مع لفيف من الأساتذة الليبيين، وقد تعرَّض بأسلوب المؤرخ الأديب لكثير من مظاهر التاريخ المشترك بين القطرين الشقيقين.

أيها السادة، أيتها السيدات.

رحم الله الأستاذ محمد بن مسعود رحمة واسعة، وجازاه الله خيرًا عما قدّم من مجهود في تربية الجيل وطيب الله ثراه: ـ

تموت ألوف لا يؤثر فقدها كأنهم عند الحياة سراب
ويذهب فرد واحد في عديده فيبكي عليه الدهر حين يصاب



تمثل هذه الصورة جانباً من الأساتذة الذين حضروا حفل التأبين



الأستاذ محمد خليل القماطي

الأستاذ محمد بن مسعود

المدرس والمؤرخ(*)

الأستاذ محمد خليل القماطي

كنت أشرت في كلمتي غير المكتوبة التي ألقيتها في الأمسية الثقافية بالمركز، إلى أني كنت تعرفت على المرحوم منذ أكثر من خمسين عامًا، عندما كان هو مدرسًا بطرابلس، وكنت أنا مدرسًا بالجبل الغربي وكنا خلال العطلة الصيفية نلتقي بالمرحوم مع إخوة لنا من المدرسين في بعض الندوات الأدبية الخاصة التي كنا نعقدها بكلية أحمد باشا في غابر عهدها يوم أن كانت تزخر بالعلم والعلماء والمتعلمين، وتارة أخرى بمكتبة الأوقاف بميدان الشهداء، واستمرت لقاءاتنا هذه في العهد الأخير بمكتب المرحوم الأستاذ علي الفقيه حسن، وكان منتدى خاصًا تلتقي فيه نخبة من رواد الأدب واللغة والتاريخ، وكان المرحوم الأستاذ بن مسعود شديد الحرص على حضور هذه اللقاءات وعلى مشاركته النقاش الذي يدور فيها.

(*) الأستاذ محمد خليل القماطي، من أبرز رجال القضاء بليبيا في العصر الحديث. ولد في مدينة طرابلس سنة (1333/ 1914) حيث أتم حفظ القرآن الكريم، وأخذ علومه الأولى عن والده وعن جملة من مشائخ هذه المدينة، كما درس بها اللغة الإيطالية في مدارس خاصة، وانتظم في الدراسة بكلية أحمد باشا القره مانلي، ونال دبلوم التدريس في سنة (1355/ 1936) فعين مدرسًا بالجبل الغربي، وظهرت له مشاركات في الصحف المحلية، ثم دخل في سلك الوظائف الأخرى فعين مساعدًا لرئيس تحرير جريدة طرابلس الغرب سنة (1362/ 1943) وعندما حصل على إجازة المحاماة عين قاضيًا في سنة (1367/ 1947) بالمحاكم الأهلية، ثم ترقي في هذا السلم فعين رئيسًا للمحكمة الابتدائية بطرابلس، ثم وكيلاً للنائب العام لمحكمة الاستئناف، ثم مستشارًا بالمحكمة العليا، ثم تولى رئاسة هذه المحكمة العليا لعدة فترات إلى أن تقاعد في سنة (1390/ 1970) فاشتغل من جديد بالمحاماة.

لقد كان المرحوم ابنًا بارًا لوطنه وقومه، مدرسًا ملتزمًا ومربيًا فاضلاً، عمل مدرسًا في وطنه الأول ليبيا، ثم في وطنه الثاني مصر كنانة الله في أرضه، كان عصاميًا في نشأته وتربيته، وعظيمًا في خلقه وأدبه، مرهف الحس، شديد التأثر، لا يقيم على الضيم، ولا يتجرع الغصة، فخورًا معتزًا بتحصيله العلمي ونتاجه الفكري، نهل من الكتب القديمة «الصفراء» في حلقات الدرس بالجامع الأزهر، وعلَّ من الكتب الحديثة البيضاء في مدرجات دار العلوم بالجامعة المصرية، وهو بذلك جمع بين القديم والحديث.

صنف عدة كتب ذات أحجام مختلفة في مواضيع متنوعة، في النحو والاجتماع والتربية والتاريخ، وبلغ ما طبع من نتاجه زهاء عشرين كتابًا، كان أغلبها في تاريخ ليبيا العام والخاص. كان يكتب بأسلوب سهل مبسط يتلاءم ومدارك النشء في مختلف مراحل التعليم، ولعل أبرز ما كتبه للمدارس، كتابه «تاريخ ليبيا العام» من القرون الأولى حتى العصر الحاضر، وقد لخص فيه المؤلف تاريخ ليبيا الطويل الشامخ منذ أقدم العصور، وكان أول مؤرخ ليبي يكتب عن سكان ليبيا القدامى من الليبو والتحنو والمشواش، كما يروي الأحداث التي عايشها منذ الاحتلال البريطاني بصدق وأمانة دون زيف أو تضليل إلى استقلال ليبيا عام 1952، وأن خير مثل على ذلك ما جاء في آخر كتابه «تاريخ ليبيا العام»/ الجزء الثاني، تحت عنوان للحقيقة والتاريخ، حيث قال: (وبعد أن نوهنا سابقاً ما كان في عهد الإدارة العسكرية من موجبات الاستياء أو الحرج فلا يسعنا للحقيقة والتاريخ إلا أن نذكر ما كان للاحتلال البريطاني من مزايا، ومن أوضحها أنه رفع جميع القيود التي كانت مفروضة على الحريات الاجتماعية، فتأسست بهذا الرفع نوادي الثقافة والرياضة وتكونت عدة أحزاب سياسية وأُبيحت حرية الفكر والتعليم وسمح للصحافة المصرية والتونسية أن تدخل البلاد وهي تباع في جميع المكتبات العامة، وكثير منها يشتمل على مقالات هي في الواقع نقد صريح للسياسة البريطانية، وقد ضربت بريطانيا بعدم ممانعتها لأمثال تلك المقالات وإباحتها للآراء الخاصة والعامة التي يتناقش فيها زعماء الأحزاب وأفراد الشعب، المثل الأعلى في معنى الديموقراطية والحرص عليها.

إن كتاب المرحوم هذا يعد بحق موسوعة مدرسية في التاريخ الليبي، جدير بأن يقرأه الطالب والمدرس والقارئ العادي.

وقد أشرت في كلمتي الموجزة إلى أن تأليف هذا الكتاب لم يكن عملاً سهلاً هيناً، فقد بذل فيه مؤلفه جهداً قيمًا واستطاع أن يلخص في صفحاته القليلة وقائع تاريخية كثيرة لحقبة امتدت زهاء ثلاثة آلاف سنة. طبع هذا الكتاب سنة 1950، وقررت إدارة المعارف في طرابلس تدريسه بمدارسها على أثر مسابقة فاز بها المؤلف.

هذا ما أريد قوله في كلمتي المكتوبة وأشرت إلى بعضه في كلمتي الموجزة غير المكتوبة عن المدرس والمؤرخ الأستاذ محمد بن مسعود الذي كانت تجمعني به لقاءات متعددة ومهنة واحدة وهي التدريس التي مارستها في مستهل حياتي الوظيفية.

الأستاذ محمد بن مسعود وحقوق التأليف

هناك جانب آخر قد يكون طريفًا في حياة المرحوم الأدبية يتعلق بملكية نتاجه الفكري وحماية حقه في هذا النتاج استناداً إلى القانون، فقد أشرت في كلمتي يوم حفل التأبين إلى صلتي بالمرحوم في هذه المرة، لم تكن كزميل سابق في مهنة التدريس، بل كانت صلة قاضٍ بمتقاضٍ.

ففي سنة 1952، وهي السنة التي حصلت فيها ليبيا على استقلالها، رفع المرحوم دعوى مدنية أمام محكمة طرابلس الابتدائية ضد مواطن عربي كان يعمل موظفاً بليبيا، ألف هو الآخر كتاباً عن تاريخ ليبيا، وادعى المرحوم بأن هذا المؤلف قد اعتدى على كتابه «تاريخ ليبيا العام» بأن نقل أو اقتبس منه بعض النصوص وأدرجها في كتابه بدون إذن من المؤلف السابق أو الإشارة إليه، وطلب الحكم له بالتعويض المادي والأدبي جبرًا للضرر الذي أصابه من هذا الاعتداء. ولم يبين المدعي ما هي النصوص المنقولة من كتابه ولا أرقام صفحات الكتاب التي وردت فيها.

كانت هذه القضية هي الأولى من نوعها في تاريخ القضاء الليبي، موضوع الحق فيها الملكية الأدبية وحماية حق المؤلف. ولم تكن التشريعات الليبية الخاصة بحماية هذا الحق قد صدرت وقت رفع الدعوى لتحل محل التشريعات الإيطالية التي كانت قائمة منذ الاحتلال الإيطالي، وظلت معمولاً بها حتى سنة

1954 حيث صدرت القوانين الليبية وطبقت، ولم يكن من بينها قانون حماية حق المؤلف الذي لم يصدر إلا في 13/ 3/ 1968 وهو القانون رقم 9.

أما القانون الإيطالي الذي كان ساري المفعول فهو القانون رقم 633 لسنة 1941 الخاص بحماية حق المؤلف مع القانون المدني رقم 262 لسنة 1942، وعلى الرغم من قيام هذه التشريعات فإنه لم تكن هناك سوابق قضائية تتعلق بالملكية الأدبية وحماية حق المؤلف حتى يمكن الرجوع إليها والاهتداء بها وأنه بالرجوع إلى نص المادة (2575) من القانون المدني الإيطالي، فإن المؤلف يتمتع عمله الفكري بالحماية القانونية **إذا كان عملاً مبتكرًا**.

وقد سارت المحكمة في إجرات تلك القضية طبقًا للقانون الإيطالي، وقررت إحالة الدعوى للإثبات الفني عن طريق الخبرة الفنية للمقارنة بين الكتابين لبيان النصوص المنقولة أو المقتبسة عن كتاب المدعي إلى كتاب المدعى عليه. وطلب المدعي تعيين الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي خبيرًا في الدعوى لإبداء الرأي بعد إحالة الكتابين عليه، وقد شرحت المحكمة للمدعي النصوص الواجبة التطبيق في تعيين الخبراء وما يجب على الخصوم أن يقوموا به من إجراءات بإيداع خزانة المحكمة أمانة لحساب مصاريف الخبرة، وبعد أن استمع المدعي إلى تلك النصوص، فوض المحكمة بأن تتولى هي الخبرة والفصل في الدعوى.

والمحكمة بعد استيفائها كافة الاجراءات المطلوبة من حيث الشكل والموضوع، كانت قد رفضت الدعوى مؤسسة قضاءها على أن الوقائع والأحداث التاريخية التي وردت في كتاب المدعي، لا تعد من أعمال الفكر ذات الطابع الابتكاري (opere dellingegno dilarattere Creativo) وهي في حد ذاتها ليست ملكًا لأحد، بل هي ملك للتاريخ، ويحق لكل فرد أن يتناولها بالكتابة بأسلوبه الانشائي الخاص.

وأنه بالاطلاع على الكتابين لم تجد المحكمة أن هناك تشابهًا أو توافقًا من حيث الأسلوب في الإنشاء فكتاب المدعي، كتاب مدرسي متميز بطابع خاص، فالمؤلف يروي فيه الأحداث التاريخية ثم يلخصها ويذيلها بأسئلة محددة يجيب عنها الطالب مستخلصاً الجواب مما كان قد عرضه المؤلف. أما كتاب المدعى

عليه، فإنه وإن كان يتفق مع كتاب المدعي في إيراد بعض الوقائع التاريخية التي ليست هي من الأعمال الفكرية المبتكرة، إلا أنه يختلف معه إنشاءً وأسلوبًا وإسمًا وشكلاً وتصميمًا، مما ينفي معه القول بأن المدعى عليه أخذ أو نقل بعض النصوص من كتاب المدعي.

والسلام عليكم ورحمة الله.



صورة لبعض الأساتذة والدكاترة في حفل التأبين

كلمة
الأستاذ صالح السنوسي فطيس(*)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أيها الجمع الكريم

السلام عليكم ورحمة الله.

إنها للفتة كريمة من مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي أن يدعو إلى هذا الاجتماع ولإقامة هذه الأمسية لتأبين فقيد التربية والتعليم أستاذنا الكبير محمد بن مسعود فشيكة، تكريمًا له وإحياءً لذكراه العطرة، والتحدث عن سيرته وما حفلت به من مآثر وتضحيات وجهاد في سبيل رفعة البلد وبناء نهضته. ونحن مدينون له بالفضل ومهما أعربنا له عن الشكر والثناء فلن نوفيه حقه علينا، فالواجب يفرض علينا أن نُحيي ذكراه ونُحييه ونقدر جهودِه ونشيد

(*) الأستاذ صالح السنوسي فطيس من رجالات التربية والتعليم الذين كان لهم تأثير فعال في هذا الحقل منذ النصف الأول في هذا القرن، ولد في (1338/ 1919). وتلقى تعليمه في زواره وطرابلس على النظامين القديم والحديث. ثم دخل في مجال التعليم بداية من سنة (1355/ 1936) مدرسًا وتدرج في سلمه فسمي مدير مدرسة، ومساعد مفتش، ومفتشًا لمقاطعة ومساعدًا لمدير المناهج والتوجيه الفني، ومديرًا لتعليم الراشدين ومكافحة الأمية، ومراقبًا للتعليم في برقة، ومديرًا عامًا للمناهج والتوجيه الفني، ثم سمي وكيلاً مساعدًا للوزارة، فوكيلاً لها، كما شغل العضوية في اللجنة الوطنية لليونسكو في ليبيا، وأمينا عامًا لمجلس التعليم العام، ومستشارًا تربويًا؛ وللأستاذ صالح السنوسي مشاركات فعالة في العديد من اللجان والمؤتمرات المحلية والعربية والدولية، كما شارك بالعضوية لإبرام بعض الإتفاقيات التربوية ثنائية الأطراف ومتعددتها؛ زيادة على عضويته في بعض المراحل في مجلس الجامعة الليبية، ومجلس معهد النفط العالي.

بجليل أعماله وعطائه السخي الغزير إعترافًا وشكرًا له على ما أسداه من خدمات قيمة لمجتمعه وبلاده.

فإذا ما درج الناس على تخليد ذكرى أبطالهم والإشادة بجهادهم وانتصاراتهم في المعارك الحربية من التحرير أو الدفاع عن الوطن والمقدسات بالصراع المسلح وهؤلاء الأبطال الشجعان جديرون لا محالة بالتكريم والتقدير، فهناك ميادين أخرى من الكفاح هي أيضًا تعتبر من أنواع الجهاد وقد تعتبر جهادًا أكبر وعلى كل فهي موازية لذلك الجهاد التقليدي ومساندة له. ويحق لأبطالها أن يكرّموا ويُخلد ذكرهم، ومن واجبات مواطنيهم وشعوبهم أن تقدر تضحياتهم وجهودهم وتشيد بها وتحي ذكراهم.

ويأتي في مقدمة هذه الأنواع من الكفاح والمعارك السلمية الكفاح ضد الجهل والتخلف في ميدان التربية والتعليم والقضاء على الأمية، وإشاعة النور وتبديد الظلمة، وإرساء القيم والمحبة والأخاء.

إن فقيدنا المرحوم الأستاذ محمد بن مسعود فشيكة لهو أحد الأبطال العمالقة في بلدنا، وهو من حضرنا لتأبينه اليوم. إنه علم من أعلام التربية والتعليم كرّس حياته لرفع راية العلم وكافح طويلاً في سبيل أداء رسالته التربوية، وبناء أجيال كان موفقًا في حسن تربيتهم وإعدادهم للحياة الكريمة ولا أدل على نجاحه من أن يتحقق لطلابه أن يصبحوا رواداً شغلوا مواقع قيادية متقدمة ملتزمين، وواصلوا المسيرة في سبيل النماء والإزدهار متخذين من أستاذهم الكبير قدوة حسنة ومثلاً رفيعًا.

من الأمور الاعتيادية أن تحتفل أية أسرة في مثل هذه المناسبات لتأبين فقيد لها وتترحم عليه وتستعيد ذكرياتها معه، ذلك ما يتم في إطار الأسرة وأقربائها وهو إطار محدود، ولكن أسرة فقيدنا الأستاذ محمد بن مسعود ـ رحمه الله ـ ليست حدودها العائلة والأقارب إنما كانت حياته في محيط أسرة كبيرة جدًا يتسع نطاقها ليشمل مجتمعنا بأسره ويتجاوزه أيضًا وذلك ما يحملنا جميعًا على مشاركة أسرته الخاصة الألم لمصابها، ونُحيي ذكراه ونشترك جميعًا في تأبينه. والترحم عليه واستعراض مآثره ولا يجوز لنا أن نغفل عن هذا الواجب.

من العسير عليَّ ـ أيها الأخوة ـ بل من المتعذر أن أوفي بما يتطلبه المقام

من استعراض سيرة فقيدنا رحمه الله وسرد تفصيلات عن تاريخ حياته الحافل والمتعدد الجوانب والمآثر ـ غير أني سأحاول أن أوجز القول فأورد ما أسعفتني به الذاكرة من خلال ما علمته عنه من طلابه وعلمته بصورة مباشرة من خلال اتصالاتي به عندما جمعت بيننا ظروف العمل المشترك في ميدان التعليم.

لم يسعدني الحظ بالتلمذة على أستاذنا الراحل في المدرسة الإسلامية العليا عندما كان أحد أساتذتها المبرزين في أواسط الثلاثينات غير أني استمعت الكثير عنه من رفاقي من طلابه، فقد حدثني الكثير منهم عن فضل أستاذهم هذا وعن جهوده البناءة وعلمه الغزير وعطائه الوفير وعن التزامه ووفائه لمهنته وعن نتائج عمله الموفق. فمدحوه وأثنوا عليه وأكنوا له عظيم التقدير والاحترام.

وفي الأربعينات عند انتهاء الحرب العالمية الثانية بهزيمة إيطاليا وانزياح كابوسها الاستعماري الجائر عن بلدنا ـ استؤنفت الدراسة ونالها بعض التطور فنشأت باكورة المدارس الثانوية وكان أستاذنا الكبير في طليعة الأساتذة الذين آزروا تلك المبادرة وتولى التدريس في مدرسة طرابلس الثانوية وحصل لي الشرف بالتعرف على أستاذنا الكبير والاتصال به في لقاءات متعددة تجمعنا فيها لجان الامتحانات والمناهج.

وتبعًا للظروف والتطورات التي مرت بها البلاد في تلك الفترة وما تحقق لقطاع التعليم من نمو واتساع أتيح للمغفور له رحمه الله خوض مجالات أوسع تدرج في مراتب وظائفها وأسندت إليه مهام ومسؤوليات أوسع؛ فقد نقل إلى جهاز التفتيش والتوجيه التربوي، ثم تولى إدارة التعليم الحر للمدارس الخاصة الأهلية والأجنبية، وتبع ذلك أن أضيفت إليه إدارة أخرى هي إدارة محو الأمية وتعليم الكبار؛ فحمل عبأهما معًا وواصل مسيرته متدرجًا في الترقية حتى بلغ درجة وكيل وزارة مساعد مستمرًا في الإشراف وتسيير الإدارتين المستندتين إليه وكان دائم النشاط محتفظًا بحيويته حتى أدرك سن التقاعد فأحيل على العاش.

كنت ألتقي به كثيرًا خلال العمل وقد أفدت من خبرته وحكمته الكثير وأعجبت بمسلكه ووفائه لمهنته وغيرته على عمله وحمايته، والدفاع عن وجهات نظره بجرأة وصراحة ويرفض على الدوام أن يكون إمعة أو موجَّها لغير ما يقتنع به، يجهر بالحق ولا يخشى فيه لوم لائم.

وكان رحمه الله يمد طلابه وطلاب المؤسسات التعليمية الأخرى في البلد بمؤلفاته العديدة التي تغطي كامل المقررات المنهجية للمواد الاجتماعية من تربية وطنية وتاريخ وجغرافية لمختلف سنوات الدراسة ومراحلها.

ورغبة من المغفور له في أن يمكن الطلاب الأجانب في المدارس الخاصة من القدرة على استيعابهم تلك المواد الاجتماعية المقرر تدريسها لهم بموجب قانون التعليم الخاص والتي تؤلف كُتُبِها باللغة العربية، فبادر رحمه الله بداية إلى ترجمة أحد كتب هذه المادة إلى اللغة الإيطالية ليكمل هذا المشروع إذ أثبت جدواه وكان يرمي من ذلك - على ما أعتقد - إلى لفت الانتباه إلى أهمية دمج هذا الجزء من المادة في صلب مقررها الشامل من منهجها الأجنبي حتى تستقر في موقعها الطبيعي وتنسجم وتتكامل مع عناصر موضوعها الشامل وحتى تحظى بالعناية الكافية والاقبال المطلوب من ناحية، وحتى يتيسر فهمها على طالب لم يبلغ بعد المستوى اللغوي العربي ليفهم منها مباشرة من جانب آخر.

وعودًا إلى سجل الخدمة للفقيد، نقول إنه على الرغم من إحالته على المعاش ومغادرته مكتبه ليتمتع بالراحة المستحقة؛ فقد آثر رحمه الله أن لا يخلد إلى السكون فلم يتخل عن نشاطه التربوي ومواصلة جهوده في التأليف المدرسي واستمر في اتصالاته الأخوية بزملائه السابقين، سعيًا إلى الوقوف على المستجدات والمتغيرات في النظم والمناهج المدرسية لكل يُحاط بها علمًا فيواكب المسيرة التعليمية وتطورها فيضبط نتاجه التربوي وفق تلك المتغيرات.

كان الفقيد رحمه الله دقيقًا في عمله، حريصًا على ضبط أهدافه وتحديدها، حريصًا على الإلمام بمختلف الجوانب المعنية بالمعالجة، يمنحها عنايته ولم يكن يغفل عن مراعاة مدى ارتباط المنهج بين أهدافه والمنطلقات والأسس التي تستمد منها تلك الأهداف وما ترمي إليه.

لقد كانت لغة أستاذنا الكبير رحمه الله عربية فصحى سلسة بليغة وكانت خير معين له على نجاحه وتحقيق غاياته منها.

هذا وأرى أن أشير هنا إلى ما قد يلاحظ عن كتب الفقيد من بساطة الإخراج والمظهر وتواضع نوعية الورق والتغليف واعتقد بأن ذلك لا يعيب

الكتاب متى كان محتواه سليمًا ومفيدًا محققًا للغرض، لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار ما كان يتوخاه المؤلف من ذلك التواضع في المظهر بحرصه على أن يظل الكتاب منخفض الثمن، وفي متناول الطالب بيسر، علمًا بأن أستاذنا الفاضل كان يتكبد نفقات الطباعة والإخراج بمفرده دون أن يُقدَّم إليه أي عون سوى ثمن ما تشتريه من النسخ وزارة المعارف.

هذا ويؤسفني أن أقر بعجزي عن تناول أي شيء عن سيرة المغفور له في طفولته ومراحل حياته السابقة لظهوري على مسرح الحياة الوظيفية. وأعتقد أن ذلك ما يمكن أن يتاح القيام به لمن توفرت له فرص معايشة المرحوم في تلك المراحل المتقدمة من حياته. وعسى أن يتولى جمع تلك المعلومات من أتيحت له تلك الفرصة من الوقوف على أحداث ماضي فقيدنا لإعداد الترجمة لحياة الراحل الحافلة بجليل الأعمال. ولعل الفقيد نفسه قد ترك لنا آثارًا مسجلة أو مخطوطة وإنتاجًا يستحق الاهتمام والعناية.

ختامًا ندعو الله أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ويحسن له الجزاء ويلهمنا وأسرته وذويه وأحباءه جميعًا جميل الصبر والعزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الأستاذ محمد الأمين الحافي

من وحي الذكريات(*)

للأستاذ محمد الأَمين الحافي(**)

شط المزار وما سلوت صحابي — كيف السلو وما طويت كتابي

عن ماجدٍ ضنَّ الزمان بمثله — علمًا وتعليمًا وفصل خطاب

أرسى دعائم نهضة علمية — كانت منارة فتية وشباب

قد كان فينا مرشدًا ومربيًا — سقراط علمًا والحجا حمورابي

إذ أمسى مشكاة العقول وسلمًا — درجت عليه جهابذ الكتَّاب

قد وشّح التاريخ سحرُ بيانه — ونأى به عن منطق الأحزاب

فهو الجواد وما الجواد سوى الذي — أعطى، ولم يأخذ بغير حساب

(*) بتاريخ 25/ 4/ 1991.

(**) الأستاذ محمد الأمين الحافي القضاعي من رجال التربيّة والتعليم الذين كان لهم الإسهام البارز في النهوض به، ولد بطرابلس سنة (1338/ 1919) وفيها تلقى تعليمه، ثم انتقل في سنة 1351/ 1932) إلى الأزهر بمصر حيث حاز شهادته الابتدائية والثانوية، وفي سنة (1360/ 1941) تقدم إلى دار العلوم التي بقي فيها خمس سنوات إلى أن نال منها إجازتها، بعد أن استفاد من كبار أساتيذها وشيوخها، وفي تلك الأثناء شارك مشاركة فعالة في النادي الثقافي الطرابلسي بأشعاره وكلماته؛ كما ساهم في النشاط السياسي للمطالبة باستقلال بلاده ليبيا مع طائفة من أصدقائه، ثم عاد في سنة (1367/ 1947) إلى بلاده فاشتغل مدرسًا في التعليم الثانوي الذي تخرج فيه أجيال من مثقفي ليبيا، وتقلد مناصب عديدة منها نظارة المعارف وإدارة مصلحة الاحتكار وإدارة الشؤون الاجتماعية، وقد آثر في أخريات عهده بالوظيفة قبل تقاعده العودة إلى المجال الذي أحبه وهو التدريس فمارسه من جديد في مدرسة علي وريث الثانوية وكلية الدعوة الإسلامية، وللأستاذ محمد الأمين إلى جانب عمله التعليمي نشاط أدبي في مجال الشعر ولّه في ذلك ديوان كما له كتاب مفيد في السيرة الذاتية تناول فيه جوانب مهمة من الحياة الفكرية والتعليمية في ليبيا الحديثة.

مـن قـبـل فـجـر قـد تـلألأ ضـوءه — نـعـم تـسـاق لـجـاهـل ومـرابـي

هذي حياة الصابرين على الطوى — منذ السحيق وقد نأَوا لحجاب

يا صانع التاريخ في ساح الوغى — ظـلـتـم لـسـانًـا صـادق الأعـراب

لـم تـنـأ عن ذكـر الحقيقة إن نـأى — عنها ربيب[1] الحكم والأعتاب

وغـدوت مـقـدامًـا لـكـل مـلـمَّـة — كالليث يزأر في أكام[2] الغاب

وخـطـوت سـبـاقًـا لـكـل فـضـيـلـة — أعشت[3] عيون الجاحد المرتاب

تلك المعارف قد وضعت نواتها — وألتف حولك صفوة الأتراب

كـانـوا هـداة لـلـعـقـول ولـم تـزل — تـلـك الـعـقـول بـصـيـرة الألـبـاب

سبروا نفوس الناشئين وشخصوا — مـا كـان يـرهـقـهـا مـن الأوصـاب[4]

حتى بنوا شعبًا يتيه على الورى — عـلـمًـا وأخـلاقًـا وحـسـن جـواب

يا أبن مسعود هرقت[5] مدامعي — هـتَّـانـة مـن حـسـرة وعـذاب

لـمـا الـمـعـارف أقـفـرت عـرصـاتـهـا — نـاهـيـك إلا حـارس الأبـواب[6]

إنـي ذكـرتـك والـخـطـوب تـؤزنـي — أزًا وتـضـرب فـي الـحـشـا بـحـراب

فـجـعـت لـمـوتـك أمـة ألـهـمـتـهـا — كـنـه الـحـيـاة ومـقـول الأَعـراب

ما كنت أدري قبل موتك ما الردى — حـتـى رمـتـك الـغـائـلات بـنـاب

مـا كـنـت أحـسـب أن أراك مـسـجـيًـا — نـلـقـى الـسـؤال ولـم تـحـر بـجـواب

والله أدعـو أن تـكـون مـع الألـى — مـنَّ الإلـه عـلـيـهـم بـثـواب

---

(1) الربيب: المربوب، وابن امرأة الرجل من غيره.

(2) أكام وأكم جمع أكمة وهي الموضع المرتفع عما حوله.

(3) أي جعلتها لا تبصر.

(4) الوصب المرض والجمع أوصاب والموصَّب الكثير الأوجاع.

(5) هراق الماء يهريقه صبَّه.

(6) وفي رواية أخرى (لما المدارس أظبأت عرصاتها).



الأستاذ فؤاد الكعبازي

كلمة
الأستاذ فؤاد الكعبازي(*)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

على الرغم من أني لم أعد كلمة مكتوبة لهذا الموقف؛ فإن حديثي عن الأستاذ محمد مسعود فشيكة، والمشاركة في حفل تأبينه أراهما واجبًا من الواجبات؛ ولإن الزمالة التي ربطتني به تفرض عليَّ هذا الصنيع لإثبات صفحة خالدة من هذا التاريخ تاريخ التعليم في ليبيا؛ وهو ما يتصل بتأسيس مدرسة طرابلس الثانوية.

لقد قام تأسيس هذه المدرسة الرائدة على كاهل الأستاذ محمد بن مسعود، وبعون ساعديه اللذين أعاناه على إظهار هذا المشروع إلى حيز الوجود، وقد كان ـ رحمه الله ـ يسميني ساعده الأيمن، وهو مثار فخر وشرف

(*) الأستاذ فؤاد مصطفى الكعبازي، متعدد في اهتماماته الثقافية والعلمية، ولد في مدينة طرابلس سنة (1341/ 1922) وفيها تلقى علومه، وبذل جهودًا ضخمة في تكوينه الفكري وفيما أحرزه من اللغات وقد كان هذا التكوين معوانًا له فيما تقلده من مهام ومناصب متقدمة في حياته العملية في داخل ليبيا وخارجها، فقد عمل في التحرير في جريدة طرابلس في عهد الإدارة البريطانية، وساهم في ذلك العهد في النادي الأدبي ونادي العمال، ثم اشتغل مدرسًا بمدرسة طرابلس الثانوية، ثم ناظرًا للأشغال، ونائبًا عامًا لوكالة التنمية، ووكيلًا لوزارة المواصلات ثم شغل منصب وزير دولة للشؤون الفنية، فوزيرًا لشؤون النفط ثم وزيرًا لشؤون البترول. وقد شارك الأستاذ فؤاد الكعبازي في العديد من الملتقيات والمؤتمرات المختلفة في ليبيا وفي خارجها بحسب اهتماماته المختلفة في الفن والأدب والعلم، وكتب العديد من المقالات والبحوث، كما نشر بعض الآثار القلمية في كتب ومؤلفات.

لي، ويسمِّي الأستاذ محمود فرحات ساعده الأَيسر؛ وكم تمنيت أن يكون الأستاذ محمود فرحات بيننا ليضيف شيئًا إلى ما سأقول.

وبعجالة فإن الأستاذ محمد فشيكة ـ كما قال الأستاذ علي مصطفى المصراتي من الشخصيات التي كانت لها مواقف شريفة، كما كانت لها نزاعات مع زملاء، اكتفي بأن أعرض لاثنين مهمين منهما، يعطيان فكرة واضحة لمدى تقدير الرجل للعلم، واختصاصات الرجال فالأستاذ فشيكة كان يحترم كلَّ عالم؛ وإذا ما حدث خلاف فمرده غالبًا أن لمن خاصمه نصيبًا غير قليل من الجهل؛ وفي المقابل تصدى غيره له لنقصه من ناحية الطلعة. وربما يتضح ما أرمى إِليه من خلال هذه الأَمثلة والأحداث التي ربطتني به منذ فترة مبكرة.

فعندما وجدني أتتلمذ وأنا صغير السن على المرحوم علي حيدر الساعاتي في مقر المدرسة الإسلامية العليا، وهي تحت التجهيز، وكان والدي مشرفًا على تجهيزها ـ فقد أكبر هذا الأستاذ وقدَّر علمه، وأَحب تواضعه وزهده وعدم رغبة في حب الظهور، وبخاصة حينما رآني وأستاذي عاكفين على إِعداد إِمساكية شهر رمضان، فارقه أَن يرى في بلاده ليبيا أعلامًا بارزين متواضعين كذلك أكبر هذا الإِكبار المرحوم مصطفى ذهني الكعبازي وأكبر ريادته وإلمامه بالتاريخ، وسار بعد ذلك في احترام من يستحق الإحترام.

وعندما تولى الإشراف على دورة المعلمين التي كانت تضم عددًا من التلاميذ لإعدادهم مربين ومعلمين في منهج ثلاث سنوات، اختار للنهوض بهؤلاء المتعلمين منهج دار العلوم بأكمله.

كذلك تعرَّفت عليه عندما التحقت بالمدرسة كمدرس رياضي بالإِضافة إلى دروسي بالمدارس الابتدائية ـ كان مقر عمله في مقر المدرسة الإسلامية العليا القديم في الظهرة ـ ولا يزال المقر والمبنى موجودًا إِلى الآن بجانب جامع دورار هنالك تعرفت عليه عن قرب، وكان وقتها يفكر في تأليف كتاب «التاريخ الليبي»، ويجمع المصادر والمراجع لعمله؛ وقد اعترضته حينها عقبة اللغة، التي زادته إيمانًا بالحكمة القائلة «كلُّ لسان في الحقيقة إنسان» لذلك كنت أجلس معه جلسات طويلة لمساعدته فيما يتعلق بالمصادر الإيطالية، وظللت على ذلك إِلى أن عينت مدرسًا بعدما غدت تلك الدورة إلى مدرسة نظامية، وصرت فيها مدرسًا للرياضيات والطبيعية والكيمياء والرسم مع الرياضة البدنية؛ وقد كان

يصرّح وقتها أَننا نحن الثلاثة كنا نقوم مقام عشرة من المربين ثم التحق بنا تلميذه الأستاذ المغفور له مظفر فوزي الأمير ثم عمر الباروني، ثم غيرهما إِلى أن جاء في الفترة المتأخرة الأستاذ علي جمعة المزوغي، وقد كنا نسهر من أكل عملنا ونأتي بما تتطلبه العملية التربوية من بيوتنا نأتي بالورق والألوان؛ لم يكن لنا أي معمل فكنت أرسم لإجادتي الرسم ـ التجارب العلمية والكيمياوية على السبورة لينقلها التلاميذ، وكان فيهم الكثير من البارعين مثل أحمد ؟؟؟؟ وغيرهم ممن كانوا ينقلون الرسوم من السبورة فتتداول كراساتهم في البلد ككتب علمية، ويتم النقل منها وإِعارتها، وكان لنا إلى جانب ذلك نشاط ملحوظ في المدرسة، مثل الصحف الحائطية أو الجدارية المتميّزة، وإِلقاء المحاضرات في الفلك والذرة التي كان يحضرها العديد من المعلمين والمثقفين من خارج المدرسة للإستفادة.

وفي الحق لقد نظم الأستاذ محمد مسعود فشيكة هذه المدرسة، واستعان بنا فيما يتعلق بالأمور الإدارية، والأعمال اليدوية فنظمناها بأنفسنا إِلى أن تكاملت بمظاهرها، ومن الغريب حقًا أنه لم يعيّن مديرًا لها ـ وهذه من الإجحافات الكبيرة التي قامت بها إِدارة المعارف نحوه ـ ولقد قمنا أيامئذٍ بالعديد من المساعي من أَجل إِنصافه وإسناد الإدارة إِليه ولكننا لم نوفق؛ بل أتوا بمدير من الخارج هو مصطفى فهمي معروف مع نخبة من المدرسين المصريين ومعهم بعض الإخوان الفلسطينيين، وبذلك أخذته الغيرة الوطنية، وربما الإنتصار للذات؛ فدعانا في سبيل إِظهار مقدرة الليبيين وما قاموا به من جهود إلى عدم التعاون مع تلك الثلّة المقحمة ـ وفي طليعة ما ينبغي تركهم لمواجهته وحدهم إعداد الجدول الأسبوعي الذي يتطلب إِرضاء كل أستاذ بما يتناسب وزمنه ورغبته وهذا العمل من أصعب الأشياء؛ ومن الطريف أَن الإخوة المصريين والفلسطينيين عجزوا عن تحقيق هذا العمل أو الجدول، وقمتُ به بعد ذلك مع الأستاذين محمد بن مسعود والأستاذ فرحات. وقدمناه إلى الأستاذ مصطفى فهمي، ولا زلت أذكر عبارته حينما اطلع عليه «الله الله دول فين» وقد كان الكثير من إخواننا يعتقدون خلو البلاد من العلم والقدرات في كل شيء؛ فكانت فكرة الأستاذ محمد بن مسعود درسًا عمليًا.

أَذكر حادثة أخرى تتصل بمثابرته وتقديره العلم، والتنويه بمواهب أبناء

البلاد، تلك الحادثة تتمثل في أنه عندما كان يعد كتابه مراحل العصور الليبية للطباعة؛ والتجأ به إلى مطبعة ماجي؛ وجد إمكانيات المطبعة غير مواتية وغير قادرة؛ فلم يكن لماجي من الحروف إلا ما يكفي منشورًا، أو لإنجاز بطاقات دعوة فماذا فعل الأستاذ، لقد توجّه إلى الأستاذ أبي بكر ساسي الخطّاط بارك الله فيه، وقال له: أريد أن تخطه بقلمك ثم جهزت له الخرائط الجغرافية والرسوم البيانية عن التاريخ والآثار والحضارات - وأتيت بهم الآن للذكرى والتاريخ - وقد جمعوا في صفحات قليلة، تنبئ إلى اليوم بلطافتها وفنيتها وأذكر أنه قال لي في ذلك الوقت «لقد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، وسيبقى الكتاب دليلاً على النبوغ الليبي إذ قد ساهم فيه ثلاثة من النابغين الليبين أنا وأنت والأستاذ أبو بكر» وقد راقني هذا الترتيب الذي ذكره، وأنا فخور بأنني زاملت أستاذًا كهذا الأستاذ الذي كان يقدرني تقديرًا كما قدَّر غيري ممن هم أعظم مني وأحسن.



الأستاذ علي صدقي عبد القادر

ومشت الأشجار!!!!

شعر الأستاذ علي صدقي عبد القادر*

النجدة

المطر يهطل

والنوافذ مقفلة، ويرحلون

ما زال صرير القلم بالمصباح

ويرحلون

نتزود بقرص الشمس الغاربة

بسطوح المدينة

نمشي الأشجار معنا

تاركة ظلالها بالطريق تتململ

(*) الأستاذ علي صدقي عبد القادر، من رجال المحاماة والقضاء، ويطلق عليه في مجال الأدب «شاعر الشباب» لما عرف به من الشعر بلونيه العمودي والحر اللذين صاغ فيهما آثارًا كثيرة، ولد في مدينة طرابلس سنة (1343/ 1924) ودرس بكلية أحمد باشا ثم حصل على دبلوم التعليم وإجازة المحاماة، وانتسب لمدة سنتين في جامعة نابولي الشرعية، وقد شارك في النشاط السياسي عضوًا في حزب المؤتمر، وفي نادي العمال بطرابلس، كما شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الأدبية، وأقام العديد من الأماسي الشعريَّة، واختير ليكون عضوًا في لجنة التعليم والعلوم والثقافة حينما نمت الوحدة بين ليبيا ومصر، صدر له ديوانه الأول «أحلام وثورة» وحصل على الجائزة الأولى في مسابقة الشعر للجنة العليا لرعاية الفنون والآداب سنة 1965 بديوانه «زغاريد ومطر بالفجر، ثم حصل على جائزة الدولة التقديرية في عيد العلم الأول سنة (1390/ 1970)، وله دواوين قيد الإعداد، راجع دليل المؤلفين العرب الليبيين.

وأيام الأسبوع خالفت ترتيبها

ونزفت وحشة

والموت يحشو غليونه بالزمن

يحرقه ينفثه

والزمن المذعور يصيح:

النجدة النجدة!!!!

***

قفص

رسم طفل بالفحم، على الجدار

طيرا وقفصا

وسأل: هل الحرية بالقفص

أو بالأفق؟؟ ؟ ؟؟

أجابت الأم:

الحرية بالقفص، بالقفص

أجابت همسا

كي لا يسمعها الموت

المتربص بالباب

وقفلت ضلوع فقص صدر ابنها

ضلعا، ضلعا

تحصنه بتعويذة

وسمكة، ونذر

وبخور

والموت بالباب

يغري طير الصدر بالحرية

لافتراسه

والحنظل كان رمانا

قبل أن يقتل

القمار

جلس القاضي

يحكم مائدة القمار

هز المطرقة

جاءت الأجنة، من البطون

أعطاهم أعمارا قصيرة

ولو طالت

فرحوا، صاحوا:

يحي القمار

يحي العدل

مخفيا عنهم، صيرورتهم ترابًا

حتى نفخ الصور

غش القاضي،

واتحد الماء بالنار

فمتى أسمع دلآل السوق ينادي:

الموت ترك مهنته؟؟؟؟!!!!



الأستاذ علي مصطفى المصراتي

كلمة
الأستاذ علي مصطفى المصراتي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

معذرة، سأحاول أن أتحدث حديثًا عابرًا، كنت أود أن يكون العنوان «جوانب وملامح وذكريات عن محمد مسعود فشيكة» سأحاول أن أختصر، والاختصار هو الابتسار في مثل هذه المواقف، ولكنني أود أن أكتب مستقبلاً فصلة مدعمة كفصلتي المصطفوين: مصطفى بن عامر، ومصطفى بعيو، فأنشرها على مهل بدون تدخل الأخ الصديق (؟؟؟؟؟؟؟؟؟).

كيف كان اللقاء الأول كذكرى من الذكريات، واللقاء الأول دائمًا له الانطباع العميق في النفس، وله صداه، كان اللقاء الأول مع الأستاذ محمد مسعود فشيكة في بيتنا المتواضع في حي شعبي بالقاهرة سنة 1935م وعمري بين الثامنة والتاسعة، إذ أنني من مواليد سنة 1926م، كنت صبيًا صغيرًا طلعة متلهفًا،

(*) الأستاذ علي مصطفى المصراتي أديب كاتب متنوع الاهتمامات، والعطاء، وله دور بارز في الحياة الفكرية والأدبية المعاصرة بليبيا ولد في مسقط رأسه مصراته سنة (1345/ 1926) ونشأ في القاهرة والاسكندرية حيث تشرب ثقافته وعلومه، وتخرج من الأزهر في كلية أصول الدين سنة (1366/ 1946) ثم نال إجازة التدريس مع العالمية في سنة (1369/ 1949) بدأ حياته بالعمل في التدريس بمصر، ثم عاد إلى بلاده فانخرط في السياسة والصحافة، كما تولى بعض المناصب، فقد شغل منصب مدير الإذاعة الليبية، ورئاسة اللجنة العليا للفنون والآداب، وانتخب في العهد الجمهوري عضوًا في مجلس الأمة الاتحادي، ورئيسًا لاتحاد أو رابطة الكتّاب والأدباء، فضلاً عن عضويته في مجلس النواب في العهد الملكي، وكان له خلال ذلك كله نشاط دائب ومتواصل في حقول الصحافة والمؤتمرات والندوات فضلاً عن جهوده في التأليف، التي أربت على إصدار ثلاثين كتابًا في التراجم والقصة والأدب والتاريخ.

وفي بيتنا الفقير المتواضع في المهجر، هناك فرشة «مصراتية» صغيرة من صنع والدتي، نحافظ عليها، ونعدها للضيف الذي يأتي إلى البيت المتواضع في الحي الشعبي، وكان الضيف دائمًا، إما من طلبة الأزهر، أو من الذين لهم صلة بالعلم بشكل ما، أو من المهاجرين المجاهدين، قال والدي ـ رحمه الله ـ وهو شيخ بسيط محدود الثقافة، ولكنه عميق الإحساس بالوطن العزيز، ـ قال: سيزورنا عالم لا بد أن تستفيد منه، فجاء. لقد كان تصوّري أن العالم سيجيء بجبة وعمة؛ «فإذا به شاب مطربش أنيق الزي والشكل، قال والدي: قبّل يدَه؛ قلت له: لا، أنا لا أحب تقبيل الأيادي، وهذه طبيعتي.

جاء محمد بن مسعود، وفي يديه فيما أذكر مجلة «الصباح» التي كان يصدرها الصحافي المصري مصطفى القشاشي المشهور، وفي المجلة صورته الأنيقة، ولا زلت أذكر بعض الأسطر: أول خريج طرابلسي من دار العلوم محمد مسعود فشيكة المصراتي، وكان اعتزازي كثيرًا بهذه الأسطر، وقد كان النزاع قويًا ـ فيما علمت فيما بعد ـ بين الأزهر ودار العلوم المعهدين العميقين العريقين، وقد جمع الأستاذ محمد مسعود فشيكة بين الأزهرية والدرعمية ـ كما يقولون ـ.

هذا أول لقاء، ثم كان اللقاء الثاني بعد تخرجي من كلية «أصول الدين»، وجئت مع الزعيم المناضل بشير السعداوي إلى مدينة طرابلس، وألقيت أول خطاب لي في جامع أحمد باشا بعنوان «لبيك وطني لبيك، وعقب هذا الخطاب رأيت هذا الرجل يحتضنني، وعيناه تذرفان الدمع، وتفيضان بالصدق، وكانت أول «رشده كسكاس» أكلتها في بيته في زقاق شارع بلخير.

هذا الرجل الكريم المضياف، هذه الذكريات العابرة، ثم قدَّم لي كتابه المخطوط آنذاك عن «تاريخ ليبيا» وشكا لي من أن الأستاذ مصطفى بعيو نشر إعلانًا مفاده أنه سيضع ويؤلف كتابًا في التاريخ، وقال: إنه أسبق من مصطفى بعيو، وكانت بينهما ما يكون من المعاصرة من تنافس علمي، لا يصل إلى الحقد ولا إلى الحسد، إنما يصل إلى التسابق والتنافس، وهناك فرق بين التنافس العلمي، والتحاقد الشخصي، فالتنافس العلمي شيمة العلماء، ولعل كثيرًا من المعاصرين لا يميزون بين التنافس والتحاقد، بين التسابق والتحاسد، فكان محمد مسعود فشيكه من الذين عانوا في مجتمعه من الذين لا يفرقون بين التنافس والتحاسد، والتحاقد والتسابق.

كان سباقًا في مجاله، وبأدواته وبثقافته، عاشقًا لمهنته، لا يحب أحدًا أن يسبقه في هذا المجال بدافع العشق والحب للتاريخ والوطن، كالغائر على عشيقته ومحبوبته لا يحب أحدًا أن يقترب منها.

فعندما يكتب راسم رشدي[1] كتابًا عن طرابلس الغرب إذ بمحمد مسعود فشيكة الكاتب المؤرخ بدافع التنافس والتسابق والحب للوطن، يكتب مقالات ذات عنف وحدّة، يسلخ فيها الكاتب راسم رشدي، مع أنه رجل له فضل، وله قيمة، كما أن محمد مسعود له فضل، وله قيمة.

هاتان المعركتان في مقام وذمة التاريخ يذكرهما الذين كانوا في تلك الفترة، ثم نرى محمد مسعود في تاريخه التكويني قبل أن نتحدث عن تاريخه التأليفي، عندما يذهب طفلاً صغيرًا إلى دمشق، ويدرس فيها، ثم إلى حيفا ويجد تلك المتصوفة «فاطمة اليشرطية» التي تنتمي إلى «بنزرت» في أصلها، ثم إلى طريقتها الصوفية بمشروعها الخيري، تحتضن كثيرًا من براعم الطفولة من أجل الدراسة والشباب في مجال التعليم والتثقيف وهذه من الصفحات المجهولة في تاريخ التربية والتعليم في شرقنا ومغربنا الإسلامي العربي؛ فإذا به يتوجَّه عام «1926» بفضل هذه السيدة المتطوعة المتصوفة «فاطمة اليشرطية» إلى مصر إلى «رواق المغاربة» لكن يبدو أن رواق المغاربة لم يتسع لطموحه العلمي، وتطلعه ونشاطه، فإذا به يكوِّن لجنة يسميها «لجنة إصلاح الرواق» ويطبع رسالة مطبوعة عن مطالبه لإصلاح الرواق ويكون بين... لست أدري عندكم بقية منها أم لا.

هذه الرسالة تدل أيضًا على طموحه الإصلاحي بشكل ما في بيئته، ثم ينتقل إلى دار العلوم لتكون نقلة أخرى، يوم أن كانت دار العلوم دارًا للعلوم، ويوم أن كان الأزهر أزهرًا، لم يصل إلى التبذل الذي وصل إليه الأزهر الآن، ولا دار العلوم التي وصل إليها ذلك الآن، مثل المؤسسات العلمية في عالمنا العربي، والتي انهارت بشكل ما فكانت دار العلوم والتي هي حسنة من حسنات المصلح علي مبارك مؤسسة علمية لها وزنها، ولها تنافسها أيضًا، ولعل ذلك التنافس بين

(1) راسم رشدي: هو أحد الإخوة المربين العرب، ممن جاءوا إلى ليبيا بعد خروجها من ربقة الاستعمار وأسهم بجهوده العلمية والتربوية في النهوض بالحياة التعليمية فيها تدريساً وتأليفاً.

دار العلوم والتنافس بين الأزهر، والتسابق في المجال العلمي خلق وكوّن وكرّس لمحمد مسعود الشاب المؤرخ الدارس الطلعة حبَّ التنافس وحبَّ السباق وحبَّ الريادة في هذا المجال يكتبه، ويأتي إلى مؤسسة المدرسة الإسلامية العليا.

ويكون في بيتنا نقاش قبل أن يأتي؛ هذا النقاش أذكره بالرغم من أني كنت في التاسعة أو الثامنة، أذكره حينما أراد أن يعود بعد تخرجه إلى الوطن، قال له فريق من المهاجرين: تريد تطلّين (؟؟؟؟؟؟) يا محمد مسعود.

لقد اعتقدوا أن العودة إلى الوطن العزيز طلينة بحكم مقاييسهم ومستوياتهم، ولكن محمد مسعود كانت نظرته أبعد وأعمق، رأى أن يعود إلى الوطن ليغرس حرفًا، ليكوّن جيلاً، ليلقي درسًا، ليوجّه ناشئة، وهذه النظرة بعيدة صائبة عندما عاد إلى المدرسة الإسلامية العليا كان بعض من الشيوخ، تقبله قبولاً حسنًا كأحمد الفساطوي وغيره، وبها من هلافتة الشيوخ الذين كانوا يسيرون في ذيل الطليان، وليدير التنافس على الجنسية عاكسوه، فوجد تلك المعاكسة والصدام، ولكن لحبه لوطنه، وعشقه لتاريخه استطاع أن يصبر، وأن يثبت أقدامه في هذا المجال، كما عاش في تلك المؤسسة، ويذكر طلابه وتلاميذه حبَّه للإسلام وللعروبة وللدراسة، ولعل فؤاد الكعبازي يحدثكم عن هذا الجانب من الجوانب ثم إذ به يكتب لنا التاريخ المدرسي، وباختصار شديد قد يكون هناك شاعر كبير، ولكنه يعجز عن نظم قصائد للطفولة والأطفال، وقد يكون هناك مؤرخ كبير، لكن يعجز عن الكتابة للمدرسة والناشئة وقد يكون أو يوجد قصاص كبير ولكنه أيضًا قد يعجز عن كتابة أقاصيص للناشئة والطفولة.

ولهذا محمد مسعود في مجاله ـ وهو العالم، وهو المؤرخ وهو العاشق للدراسة والتاريخ ـ كان من أوائل الذين كتبوا للناشئة والمدارس، وهي مهمة من أصعب ألوان التأليف والكتابة، ليس كل إنسان عالم أو باحث أو مؤرخ يستطيع أن يكتب للمدارس أو للناشئة أو للطفولة. من هذا الجانب نرى هذه الكتابات التي كتبها محمد مسعود هي كتابات رائدة في مجالها، وكما قلت في كلمة سابقة إنها بذور تنبت أشجارًا، وتورق الأغصان.

ولمحمد مسعود فشيكة جانب آخر كان يكتب المقال العلمي فكان بودي أن تنشروا في المعرض هذا عديدًا من مقالاته ومن مصاولاته، ومن تعليقاته،

ومن ملاحظاته العلمية منها تحقيق «هل سبتموس سيفروس ليبي؟» ومن ذلك تحقيقاته للأسماء والأعلام.

وأذكر من ذكرياتنا التي حضرناها في طرابلس موقفين: الموقف الأول عندما قدم المستشرق الإيطالي العالم المعروف «جبرييللي» وألقى محاضرته في فندق الودان وتناول موقف العرب في تاريخ صقلية العربية الإسلامية، وبطبيعة الحال، وعلى الرغم من علم هذا الرجل وقيمته العلمية، أعني المستشرق الصديق لكن زلق لسانه بعبارة، وهنا انتفض محمد مسعود فشيكة بدافع الغيرة الوطنية، والغيرة العلمية ليردّ على ذلك المستشرق في تلك القاعة، لعلكم تذكرون إن حضرتم هذه المحاضرة التي كانت فيما أظن سنة 1955م.

وأيضًا هناك محاضرة أخرى في سينما «الغزالة» التي أطلقتم عليها اسم «صبري عياد» ولا وجدت لا سينما الغزالة، ولا مسرح «صبري عياد» تطلقون الأسماء وتُنسى فهذا المسرح مسرح صبري عياد أو الغزالة، أولست أدري ما سميت الآن، ألقى فيها «لزنتان» صديقنا المستشرق الإيطالي العبقري في مجاله، ألقى أيضًا محاضرة عن جانب من الحضارة الإسلامية العربية على حوض البحر الأبيض المتوسط وعن صقلية بالذات، وأيضًا - سبحان الله - انزلق لسانه ولا أقول قلمة في عبارة من العبارات، وهنا ينبري الفارس المدافع عن الحضارة العربية الإسلامية بكل حماسة وصدق محمد مسعود فشيكة ليردّ عليه ردًا علميًا في إطار حماسي كان ذلك أيضًا في ذلك الصيف، والمواقف في هذا المجال كثيرة.

أيها الإخوة، معذرة، ولا أحبُ أن أكون ثقيلاً عليكم كلكم تحبّون أن تسمعوا الإخوة الآخرين، ولهذا انسحب معتذرًا أنني لم أقل ربع ما أريد أن أقول.



الأستاذ علي الصادق حسنين

المرحوم
محمد بن مسعود فشيكة

الأستاذ: علي الصادق حسنين(*)

ولد حوالي سنة 1903م في قرية الشواهدة بمصراتة حيث حفظ قسطًا من القرآن الكريم بالكتّاب، ثم أدخله والده المدرسة الابتدائية التركية المحلية التي أدى الغزو الإيطالي إلى تعطيلها أسوة بسائر مدارس القطر فكان سعيد الحظ إذ أتيحت له ـ وهو يافع ـ فرصة الدراسة خارج البلاد فاغتنمها فقيض له أن يكتسب حظًا وافرًا من العلم والمعرفة: ذلكم هو المؤرخ النحرير والمؤلف الشهير والمربي الكبير المرحوم محمد بن مسعود بن عبد المجيد فشيكة الذي نحتفل في هذا الأصيل بتأبينه تقديرًا منا للدور التربوي الرائد الذي اضطلع به طيلة حياته التي لم تخل ـ كحياة سائر البشر ـ من تعاقب اليسر والعسر. وإن الجد والصرامة والاحتراز التي اتسمت بها بعض مواقفه لم تكن ـ في نظري ـ

(*) الأستاذ علي الصادق حسنين، كاتب يتحلى بالدقة والرصانة ومن الرجال الذين كان لهم إسهام بارز في مجال الإدارة والوظيفة منذ المرحلة السابقة لاستقلال ليبيا، كانت ولادته في مسقط رأسه طرابلس سنة (1344/ 1925) ثم درس بعد مرحلة الكُتَّاب في المدرسة الابتدائية الإيطالية والتحق بالشعبة التجارية في المدرسة الثانوية، واستأنف دراسته بعد الحرب العالمية الثانية في المعهد التقني العالي ونال دبلومه سنة (1368/ 1948) ودخل عقب ذلك إلى الحياة الوظيفية فعمل في التدريس، وترقى في الوظائف الحكومية العامة إلى أن وصل إلى منصب الوزارة، وبالنظر إلى اتقانه الإيطالية والفرنسية والانجليزية فقد ساهم في مسير الحياة الثقافية في ليبيا بالعديد من الإسهامات الفعالة في حقول التأليف والترجمة والمشاركة في المؤتمرات والندوات التي عقدت في داخل ليبيا وخارجها، بالإضافة إلى العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمخطوطة والمترجمة.

سوى انعكاس للأزمات التي ألمت به في أثناء جهاديه العلمي والمعيشي.

أجل، لقد شهدت سنة 1912م مغادرته أرض الوطن إلى دمشق في بعثة دراسية تحت رعاية الدولة العثمانية. ولما نصب الأمير فيصل بن الشريف حسين ملكًا على سوريا في أعقاب الثورة العربية وزوال الحكم التركي التحق بمدرسة البرق والهاتف وعين ـ بعد تخرجه ـ في وزارة الحربية ثم نقل إلى العمل في القصر الملكي.

وإبّان الانتداب الفرنسي شغل وظيفة مدير مصلحة الهاتف في قضاء دوما وظل يعمل بها حتى سنة 1923م عندما اعتزل الخدمة الحكومية وزاول مهنة التعليم بالمدارس الحرة في العاصمة السورية.

وفي سنة 1926م قرر ترك التعليم وشد الرحال إلى أرض الكنانة لينهل من مناهلها العلمية الفياضة. فانتسب إلى الأزهر الشريف في عهد مشيخة الأستاذ الأكبر المرحوم مصطفى المراغي الذي حظي بعطفه وتشجيعه. وبعد أن نال الشهادتين الأزهريتين الأولى والثانية، التحق في سنة 1930م بدار العلوم ـ التي صارت فيما بعد إحدى كليات جامعة فؤاد الأول ـ. وبعد خمس سنين تخرج بتفوق وكان أول ليبي يحصل على إجازة التدريس منها. وقد أشادت بنجاحه إذ ذاك أمهات الصحف المصرية وفي مقدمتها الأهرام القاهرية. ويعترف الفقيد ـ رحمه الله ـ بأن سيدة مغربية من أهل البر والإحسان كانت من وراء تمكنه من الدراسة والنجاح إذ كانت تنفق عليه بكل سخاء. وفي أعقاب تخرجه زاول التدريس في المدارس القاهرية الحرة.

غير أن شوقه إلى مسقط رأسه وأسرته قد اشتد بعد غياب دام أربعة وعشرين حولاً. فبحلول صائفة سنة 1936م عقد العزم على السفر إلى ليبيا حيث لم يجد سوى والدته وشقيقته الصغرى على قيد الحياة. إن والده قد وافته المنية في تونس الخضراء حيث كان له نشاط تجاري، أما إخوته ـ الذين كانوا يكبرونه سنًا ـ فقد استشهد بعضهم في معارك الجهاد، وتوفي بعضهم الآخر بآجالهم ولم يخلفوا ذرية لأنهم لم يتزوجوا قط.

وقد روى لي الحاج عمر محمد الشّلّي في الأسبوع الماضي أنه حين جاء الفقيد إلى طرابلس لأول مرة نزل لمدة قصيرة في عليّ كائن في زنقة بك

بنغازي 11 بالمدينة القديمة حيث كان الحاج عمر وشقيقه الحاج مصطفى يزاولان حياكة الأردية الحريرية.

وفيما كان يتأهب للعودة إلى مصر طلب إليه لفيف من أعيان طرابلس أن يمكث لأجل خدمة مواطنيه. وبفضل هؤلاء الأعيان الذين توسطوا له لدى السلطات الحاكمة تم تعيينه بالمدرسة الإسلامية العليا التي أسستها إيطاليا بهدف الحيلولة دون إتمام شبابنا الدراسة في مصر أو تونس خشية احتكاكهم بعناصر الحركة الوطنية هناك. ومما يذكره تلاميذه بالثناء تجشمه ـ رحمه الله ـ في سبيلهم مشقة إعداد الدروس ونسخها آليًا ثم توزيعها عليهم في شكل مذكِّرات وذلك نظرًا لانعدام الكتب المدرسية الموضوعة باللغة العربية سيما وأنه كلف ـ وقبل هو من باب التحدي ـ بتدريس مادتين بعيدتين عن تخصصه هما علما الحياة والصحة فكان التوفيق حليفة.

وفي العطلة الصيفية لسنة 1937م استأذن الجهات المختصة بالتوجه إلى القاهرة لقضاء بعض حاجاته الخاصة ولانتقاء بعض الكتب المدرسية للاستعانة بها في أداء مهمته. وقبيل مغادرته لمصر روج بعضهم إشاعة تقول إن المرحوم لم يعد ينوي العودة إلى ليبيا وأنه كان داعية للاستعمار الإيطالي. وتنامى إليه وقتئذ نبأ من طرابلس مفاده أن مدرسًا آخر قد جرى تعيينه بدلاً منه. فغمره أسى شديد ولبث في العاصمة وعاد إلى التدريس بمدارسها الحرة.

ولكن يبدو أن سوء الحظ لم ينقطع عن مطاردته بعد. فبالإضافة إلى معاناة الاغتراب والبعد عن بلاده وأهله شاء القدر أن تصدر وزارة المعارف أمرًا إلى المدارس الحرة الخاضعة لإشرافها بألا توظف مدرسين غير مصريين وذلك لإفساح مجال العمل أمام المواطنين العاطلين من حملة المؤهلات العليا.

وبناء على ذلك كان الاستغناء عن خدمات الفقيد الذي حاول عبثًا حتى التجنس بالجنسية المصرية.

إلا أن الله تبارك وتعالى أدركه في هذه الأثناء برحمته إذ أبلغته السفارة الإيطالية في القاهرة بأن المدرسة الإسلامية العليا في طرابلس كانت ما تزال بحاجة لخدماته.

وفي أواخر سنة 1939م قفل راجعًا إلى وطنه حيث استأنف عمله وبقي به إلى سنة 1941م حين حتمت ظروف الحرب العالمية الثانية تعطيل الدراسة في بلادنا التي شكلت ـ كما هو معروف ـ واحدًا من أهم ميادين القتال والمعارك الحاسمة التي أدت إلى هزيمة إيطاليا وتخليها عن مستعمراتها بما فيها ليبيا.

وفي مطلع عهد الإدارة العسكرية البريطانية سنة 1943م لجأ الفقيد إلى مصراتة وفتح مكتبًا للمحاماة الشرعية بها. وبعد فترة لم تطل أذنت له رئاسة المقاطعة الشرقية ـ دونما التزام منها بتوفير أي شيء ـ بإعادة فتح إحدى مدارس المدينة وتوليه هو إدارة شؤونها. وبالرغم عن الظروف العصيبة التي صادفته كان له الفضل في تثقيف عدد من فتيان وشباب مصراتة وإنقاذهم من التسكع في الشوارع.

وكان حزنه عظيمًا في سنة 1945م إذ لبت والدته نداء ربها وقام هو ـ حسب وصيتها ـ بإيداعها شخصيًا مثواها الأخير.

وفي السنة نفسها تقرر نقله إلى طرابلس حيث تقلب في شتى الوظائف التربوية إلى أن بلغ سن التقاعد.

لقد شهدت الأعوام الأخيرة من عمره توعك حالته الصحية وكثيرًا ما كان يلزمه ذلك الفراش إلى أن خطفته يد المنون في أواخر السنة الفارطة فبكاه ذووه وأصدقاؤه وتلاميذه وزملاؤه وبقيت مؤلفاته وستظل محيِيَةً لعاطر ذكراه على مدى الأجيال.

هذا ولا بد لي من إيضاح أنني في الحقيقة لست من زملائه الأخيار ولا من تلاميذه الأبرار ولم أحتك به إلا في العقد الأخير حين كانت تجمعنا بين الفينة والفينة مربوعة المغفور له الأستاذ علي محمد الفقيه حسن بشارع ميزران، تلك المربوعة العامرة التي كانت من المرابيع الطرابلسية النادرة إذ شكلت في الواقع منتدى كان أغلب رواده من أجلة العلماء والباحثين والأدباء والمثقفين.

وكم كانت تشدني الأحاديث المفيدة الممتعة التي كان يتجاذب أطرافها كل من الأستاذ علي وصديقه الأستاذ محمد أنزل الله على روحيهما شآبيب رحمته. ومن ذكرياتي معهما أنه فيما كنت أتحدث ذات مرة مع الفقيد عن خطورة الترجمة ومخاطرها وضرورة أن يستوفي الناقل معرفة اللغة الأجنبية

واللغة التي يترجم إليها معرفة جيدة أنشد صديقه بيتين من الشعر طرب هو لهما حتى ارتسمت على محياه سمات البهجة والسرور. وهذا نص ذينك البيتين الرائعين:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه   وتلك له عند الشدائد أعوان
فبادر إلى حفظ اللغات مسارعا   فكل لسان في الحقيقة إنسان

ثم قال منشدنا رحمه الله إن هذين البيتين من نونية مشهورة عنوانها «الْحِكَم» نظمها الكاتب الأديب الشاعر أبو الفتح علي البستي الإيرانيُّ الأصل السجستاني المولد الذي توفى في القرن الرابع للهجرة[1].

وختامًا أدعو الله المنان أن يشمل الفقيد بالرحمة والرضوان ويسكنه فسيح الجنان ويلهم أهله ومحبيه جميل الصبر والسلوان. آمين.

(1) وجدت البيتين في مراجع أخرى منسوبين إلى الشاعر صفي الدين الحلي بهذه الرواية: -
بقدر لغات المرء يكثر نفعه   فتلك له عند الملمات أعوان
تهافت على حفظ اللغات مجاهدًا   فكل لسان في الحقيقة إنسان
ومعنى ذلك أن البيتين ينسبان إلى شاعرين مختلفين هما أبو الفتح البستي وصفي الدين الحلّي.



صورة تمثل السادة الحضور مساهمة في ذكرى استاذ الجيل
محمد بن مسعود فشيكة

مساهمة في ذكرى أستاذ الجيل
محمد بن مسعود فشيكة

الأستاذ: ابراهيم الفقيه حسن*

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبه نستعين

أيها السادة الأجلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

نجتمع اليوم لنحيي ذكرى، ولنؤبن شخصًا عزيزًا علينا جميعًا من عرفه ومن لم يعرفه ومن سمع بجهده في ميدان التعليم ومن قرأ له. وقد كنا بالأمس الأمس بالتحديد ودعنا علمًا آخر من أعلام هذا الوطن هو الأستاذ/ المرحوم محمد الأسطى وودعنا قبله بشهور زميله أستاذنا محمد بن مسعود فشيكة، وودعنا قبلهما الكثير من رجالات هذا الوطن الذين ذكروا والذين لم يذكروا واحتواهم جوف التاريخ الواسع العريض، نودع الذين نعرف والذين لا نعرف

(*) الأستاذ ابراهيم الفقيه حسن، قانوني بارع، وفي الطليعة من الإداريين البارزين الذين ارتقوا بمؤسسات ليبيا، وقوانينها، وإدارتها، ولد في مدينة طرابلس سنة (1351/ 1932) وتلقى تعليمه فيها، ثم التحق بجامعة الإسكندرية وتخرج منها في سنة (1379/ 1959) من كلية الحقوق، ثم عاد إلى بلاده فالتحق بالإدارة انقانونية بمؤسسة التأمين الاجتماعي، مساعدًا للمستشار القانوني، ثم مستشارًا قانونيًا، ثم مديرًا للإدارة القانونية فمديرًا عامًا للمؤسسة المذكورة إلى سنة (1389/ 1691) ومن بداية سنة (1390/ 1970) سمي مديرًا عامًا للهيئة ورئيسًا لمجلس الإدارة وعندما أنشئت الهيئة العامة للضمان الاجتماعي تولى منصب المدير العام مدة ثماني سنوات تقريبًا، وفي مارس سنة 1986 رقي إلى منصب أمين اللجنة الشعبية العامة للضمان الاجتماعي ثم عين رئيس المجلس الوطني للاستثمارات العقارية وغيرها من اللجان التي خدم وطنه من خلالها، كما كانت له مشاركات فعالة في مؤتمرات دولية ومحلية.

دون أن نستقبل جديدًا وتلك هي المأساة أو الملهاة كما يقولون، وإن استقبلنا الجديد فليس له كالقديم. . تلك القيمة الثقافية المميزة، قد يكون الجديد أكثر علمًا ومعرفة لكنه غير معروف لبني وطنه المعرفة الكافية فهي محدودة بالجامعة أو المعهد أو المؤسسة وليست منتشرة في هذا المجتمع الواسع العريض، فالمثقف هو الممارس للثقافة والثقافة ممارسة ونقل للمعرفة لدى الغير. وإلاّ لا نكون إلاّ ككتاب مقفل عليه بصندوق يعلوه غبار الزمن لا يقرأ فتنعدم الفائدة المرجوة منه للكافة. . . ويمكن أن يرد على كل ذلك بأن الزمن غير الزمن والوقت غير الوقت فقد طغى التخصص على كل شيء والانغلاق على العلاقات الثقافية والاجتماعية، وذلك موضوع يطول فيه البحث والنقاش.

وأستاذنا الذي نحيي ذكراه اليوم هو من النوع المثقف المنتشر في الوقت الذي صعب ويصعب فيه الانتشار في العهود الايطالية والبريطانية التي تحكمت وقتًا طويلاً في مصائر هذه البلاد.

أستاذنا ابن مسعود الملقب بـ«فشيكة» ومعناها حسب قاموس المنجد الأنبوبة المملوءة بالبارود لحشو الأسلحة النارية «قيل لي في وقت من الأوقات أنه أثناء جهاد العرب الليبيين ضد الغزو الإيطالي كان بنواحي منطقة مصارته وكان يافعًا شابًا حيث أنه من مواليد أواخر القرن الماضي (التاسع عشر) على ما أعتقد، كان بتلك المناطق مع المجاهدين يحشو لهم الأسلحة النارية، وهو حديث لا أذكر الآن من ذكره لي ولكن بعض الأساتذة الأجلاء زملاء أستاذنا أو تلاميذه يمكن أن يكونوا على دراية به أكثر مني. والذي أريد أن أقوله أن لقبه فشيكة والذي تخلى عن استعماله في سني حياته الأخيرة أي من تلك الصفة بمعناها الذي شرحه القاموس سابقًا.

أيها السادة الأجلاء. . .

عرفت أول ما عرفت الأستاذ المرحوم مع نهاية العقد الرابع من القرن الحالي وقبل الحرب العالمية الثانية، وما زلت أذكر وكأنها صورة شمسية معلقة في ذاكرتي جلسته في حديقة منزل العائلة بشارع ميزران المليئة بالورود والزهور وكان هو تلك الزهرة السوداء النادرة بينها يجري الحديث الجميل بين المرحومين الجد والوالد والعم، ويمكن أن أؤكد الآن أنني سمعت اللهجة المصرية أول ما سمعتها وأنا طفل في ذلك الوقت من أستاذنا الجليل العائد من

مصر والتي بقت معه طول حياته مع اختفائها من لهجته بصورة تدريجية. وكان في ذلك الوقت يدرس بالمدرسة الإسلامية العليا بمدينة طرابلس بمنطقة الظهره وتلك المدرسة هي أول معهد إسلامي ينشأ في البلاد في العهد الإيطالي وما زال بعض خريجيه يعيشون بيننا ويذكرون فضل أستاذنا عليهم في التدريس لهم ومواقفه العلمية والوطنية.

أيها السادة الأجلاء...

أنا لا أريد أن أطيل أو أن أكرر ما قاله أو سيقوله الزملاء والأساتذة الأجلاء عن حياة أستاذنا العامة في مجالات التدريس والخاصة في حياته الاجتماعية ولكني أريد أن أشير في هذه العجالة إلى أنه ربَّى جيلاً من المتعلمين والذين يقودون قطاعات ونشاطات مختلفة في البلاد، وكان لي شرف التعلم على يديه في العلوم التي اختص بها تاريخ جغرافيا تربية وطنية، إلى جانب العلاقة الخاصة به ولقائه كل يوم تقريبًا بمنزل المرحوم الوالد مع تواجد المرحوم الأستاذ محمد الأسطى أيضًا في بعض الأوقات وذلك لسنوات طويلة وعديدة، وغرفت من علمه ومعرفته وتجربته فإن كان لي شيء من العلم والمعرفة في مجاله فالفضل يرجع له ولأسلوبه الحسن المبسط والرقيق.

كان أستاذنا ختامًا من الذين يغضبهم القليل ويرضيهم الأقل بمعنى أنه رحمه الله يثور لأسباب بسيطة ويرضى ويعود إلى طبيعته السمحة إلى أسباب أبسط، وذلك دليل على طيبة السريرة والمعدن.

أشكركم أخيرًا على المتابعة والاستماع، وآسف لاختصاري لهذه الكلمة لضيق الوقت وتفادي تكرار ما يمكن أن يقال... ورحمة الله الواسعة على أستاذنا الجليل الأستاذ محمد بن مسعود فشيكة الذي كان بحق أستاذ الجيل وكان بهذا المعنى وما سبق من شرح من المجاهدين العرب الليبيين الذي يحتفل بذكراهم مركز جهاد الليبيين...

فشكرا للقائمين عليه لما يبذلونه من جهد موفق في كل نشاطاتهم العلمية والفكرية والتاريخية، وتقديري الخاص لهم وعلى رأسهم الدكتور محمد الجراري أمين المركز لعنايتهم بذكرى أستاذنا العزيز محمد مسعود فشيكة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأستاذ كامل المقهور

كلمة
الأستاذ كامل المقهور(*)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، هاجس واحد دفعني إلى المشاركة في هذا الحفل التأبيني، قبلها أحب أن أقول أن الموت حق وقدر، وأنني اعتدت كما اعتاد كثيرون غيري الإمساك عن القول في الموت وهو يقين يشبه الشك من قول الإمام علي، إلا أن هاجسًا واحدًا طرأ عليَّ وأنا أسمع بتأبين الأستاذ الفاضل محمد مسعود فشيكة، فقد حملت له وأنا الذي لا صلة مباشرة لي به صورة ظلت ترافقني وستظل ما حييت، صورة عن ذلك الجيل الذي حملنا في قلبه أستاذ لا هو بالمحترف، ولا هو بالهاوي، بل هو المدرس المؤمن الذي جعل من التدريس عبادة، ومن التعليم خضوعًا لله عز وجل وعملاً وطنيًا عامًا، وما كان التدريس آنذاك ليعطى بل يأخذ، وما كان مركبًا لغير الصعب، وما كان إلا مكافحة لأجل جيل أنا أحد أبنائه، هاجس واحد دفعني إلى أن أقول كلمة، حتى يمكن أن نعترف بأن هذا الوطن قدَّم رغم الفقر

(*) الأستاذ كامل المقهور، أحد رجال المحاماة والأدب، ولد في مدينة طرابلس سنة (1354/1935) وفيها تلقى تعليمة الأولى، ثم رحل إلى مصر التي تحصل فيها على درجة الليسانس من جامعة القاهرة بكلية الحقوق، واشتغل بعد عودته إلى بلاده في سلك المحاماة والقضاء، كما تولى مناصب متقدمة، بدأ حياته محاميًا، ثم تولى منصب وكيل إدارة الفتوى والتشريع، ومنصب المستشار بالمحكمة العليا، وأسند إليه في سنوات الثورة بليبيا منصب سفير في فرنسا، كما تولى بعد ذلك مهمة مندوب ليبيا في لجنة حقوق الإنسان، ثم منصب أمين النفط.

وله إلى جانب ذلك مشاركات في مؤتمرات مختلفة، كما تم أخيرًا اختياره عضوًا في الأكاديمية الملكية في المملكة المغربية ومن آثاره المطبوعة: 14 قصة من مدينتي، والأمس المشنون وكتابه «محطات» في السيرة الذاتية.

للتدريس قُضى عليه أو كاد، وتفانيًا في خدمة الثقافة بعُدَ عنها الناس أو كادوا، لم يكن التاريخ إلا قصصًا ضعيفة تُروى بركاكة متبعة ما يُحكى على المدارس من سلطان أو عرف جاهل، وكان مسعود فشيكة يجعل من التاريخ علمًا أو ما يشبه العلم.

لم أتتلمذ عليه، ولكن كنت من ذلك الجيل الذي عرف عنه، إذ اتجه المدرسون إلى تدريس علوم متعارف عليها تعطي الهيبة والوقار والجاه، اتجه الأستاذ محمد إلى علم عَمُر بالخرافات والأقاصيص لينفيه وكان في ذلك محقًا، وكان يحكيه في ذلك الوقت وكأنه يتحدث عن قصص علمية سوف يأتي بها الزمان أو لا يأتي، وكنا جميعًا نتشوق إلى سماع أخباره وحلمه وطريقة سرده، ولم أكن من بين من استمع إليه، ولكن جيلي كان يملأ الأذن منه، ويغذي العقل من سماعه، فإن كان في هذا الوطن شيوخ ومريدون، فإن مدرسينا الذين علّمونا هم شيوخنا ونحن مريدوهم، حضرنا إليهم أم لم نحضر، استمعنا إليهم أم لم نستمع، ملتنا البصر بصم أم لم نرهم، وكان شيخنا الأستاذ محمد مسعود فشيكة وكنا مريديه. رحمه الله، وجزاه خيرًا وجزى ذلك الجيل الذي علمنا وربانا جزاء الأبرار والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأستاذ محمد عبد السلام الجفائري رحمه الله

كلمة
الأستاذ محمد عبد السلام الجفائري(*)

أيها الأخوة أيتها الأخوات: -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية: 145].

نلتقي في هذه الأمسية الحزينة لنؤبن أستاذًا من روادنا الذين أدوا واجبهم في حقل التعليم والتربية لمدة طويلة تجاوزت الثلاثين عامًا، ذلكم هو الأستاذ الفاضل محمد بن مسعود رحمه الله في وقت كان فيه الكتاب نادرًا، والبيئة

(*) الأستاذ محمد عبد السلام الجفائري، من الباحثين المتميزين بالقراءة والاطلاع، ولد بمدينة طرابلس سنة (1355/ 1936) وتلقى تعليمه بمسقط رأسه، ثم التحق بالدراسة الجامعية كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية قسم الفلسفة، وتخرج منها سنة (1383/ 1963) بدرجة الليسانس، وعمل موظفًا بإدارة أوقاف طرابلس، والهيئة العامة للأقاف، ثم تقلد منصب أمين عام مكتبة الأوقاف وانتقل بعد ذلك إلى مركز دراسة جهاد الليبيين باحثًا، وقد تحصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية سنة (1403/ 1982) ويقوم بتحضير درجة الدكتوراه ونشر العديد من المقالات والبحوث في مختلف الصحف والدوريات الليبية، كما ساهم بالكثير من المحاضرات في رابطة المعلمين والنادي الثقافي الوطني، ومركز دراسة جهاد الليبيين - كذلك له بعض من الكتب المطبوعة مثل - مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، وإعداد كتاب محاضرات الموسم الثقافي الأولى، والوثائق الإيطالية المجموعة الثانية، وكتاب «المنفيون الليبيون» بالاشتراك.
توفي - رحمه الله - في شهر ديسمبر 1997 راجع ما كتبه عنه صديقنا الأستاذ عمار محمد جحيدر في جريدة «الفتح الثقافي».

قاحلة، والاحتلال جاثمًا فوق الصدور.. رحل في سبيل التعليم إلى تركيا، ودمشق، والقاهرة، ونال الدرجة الجامعية من دار العلوم في عام 1935م ثم رجع إلى بلاده ليؤدي واجبه نحو أبناء وطنه.. في وقت كان التعليم فيه محدودًا، والبيئة تكتنفها عوامل الجمود والخمود، ولم يكتف بالتدريس فقط، ولكنه دخل عالم التأليف وقدم لنا أول كتاب له في عام 1950م وكان بعنوان (تاريخ ليبيا العام) طبعه على نفقته الخاصة ليستفيد منه الطلبة والمدرسون، ثم توالت كتبه فيما بعد وكان من أهمها: ـ

1 ـ كتاب (كأنك معي في طرابلس وتونس)

2 ـ كتاب (رمضان السويحلي)

وسأقف بالذات عند الكتاب الأول لأنه يحتل في نفسي مكانة خاصة، وكان لي بسببه موقف مع أستاذنا الكبير ما زلت أذكره على مدى السنين.

صدر هذا الكتاب في عام 1953م وكنت حينئذ طالبًا بالسنة الخامسة بمدرسة طرابلس الثانوية ورئيس تحرير إحدى جرائد الحائط التي كان يصدرها الطلبة آنذاك.. هذه الجريدة هي جريدة (الأمل) التي كان يصدرها طلبة القسم الداخلي، كتبت كلمة صغيرة في هذه الجريدة للتعريف بكتاب (كأنك معي) وتقريظه والتنويه بجهود مؤلفه، وجاء هذا الأستاذ الفاضل بعد أن قرأ الكلمة إلى الفصل ليشكر تلميذه الصغير، الذي بدأ يخطو خطواته الأولى في عالم الكتابة على كلمته هذه.. وفي ذلك درس كبير ومؤثر في التواضع والتشجيع من أستاذ كبير إلى تلميذه الصغير، ومنذ ذلك اليوم لم يفتأ فيما بعد إلى آخر العمر يقدم تشجيعه وتوجيهاته لأبنائه الطلبة الذين أبدوا استعدادًا للكتابة.

وموقف آخر أذكره.. حدث منذ أربع سنوات تقريبًا إذ التقيت به في هذه المؤسسة العلمية.. وفي قاعة المطالعة بالمكتبة بالذات، فسلَّمت عليه ورحبت به وأبديت له استعدادي لتقديم أية خدمة، فطلب مني أن أحضر له دائرة المعارف للبستاني فأحضرتُ الكتاب وسألته عن مشروعه الجديد في عالم التأليف فأجاب بأنه عاكف على إعداد كتاب عن الحضارات القديمة، فأكبرت فيه الروح العالية، والهمة الفاعلة، التي لا تعرف الملل والضجر، وقد علمت منذ أيام قليلة من ابنه نور الدين أن الكتاب جاهز وقد أنجزه المؤرخ الكبير قبل

وفاته. نرجو الاهتمام بهذا المخطوط وطبعه حتى يعرف طريقه إلى النور ويستفيد منه طلبة العلم.

نعم لقد مات الأستاذ الكبير محمد بن مسعود وانتقل إلى رحمة الله، والموت حق ولكنه ليس نهاية للإنسان، بل هو انتقال من الحياة الدنيا ومن دائرة الفتنة والابتلاء.. إلى الحياة الأخرى، حيث يتغمده الله برحمته، ويفوز برضاه وعفوه ومغفرته.

يا لوعة الأحباب حين تساءلوا	عنه وعادوا بالجواب الموجع
إن الذي قد كان معكم قد مضى	من موضع أدنى لأرفع موضِع
من عالم متكلف متصنع	تشقى نفوس فيه لم تتصنعِ
للعالم الأسى الطهور، ومن مجا	ورة الأنام إلى جوار المبدع

فالموت حقيقة ثابتة، ولذلك يدعو الشاعر كل إنسان إلى التذكر والتفكر وفعل الخير فيقول:

للموت من ملك البسيطة كلها	أو حاز من دنياه بضعة أذرع
فازرع طريقك بالورود وبالسنا	لا يحصد الإنسان إن لم يزرع
واعمل لكي تمضي وتبقى رقة	في مبسم أو نغمة في مسمع
أو صورة مثل الربيع جميلة	في خاطر أو ناظرِ مستمتع

لقد كان فقيدنا الراحل أحد المؤرخين الليبيين الرواد الذين نهلوا من (المنهل العذب) واستنشقوا (نفحات النسرين والريحان) وقدموا العديد من المؤلفات، لتكون (تذكارًا) للأجيال الحاضرة والقادمة، وشموعًا تضيء الطريق أمامهم، ومنهجًا يستوعبون عن طريقه دروس التاريخ في حقيقته باعتباره مجرى السنن الربانية في واقع الأرض.

لقد سجل المؤرخون الليبيون (جهاد الأبطال) وأحيوا معارك الأمس، ودعوا إلى الجد والاستعداد لـ(معارك الغد).. معارك التنمية والنهضة، تمكينًا لهذا الوطن من تجاوز دائرة التخلف إلى آفاق التقدم والمستقبل الزاهر.

«حيث الفكر الذي لا يعرف الخوف

وحيث الراس يرتفع شامخًا عاليًا

وحيث المعرفة حرة ـ والعالم غير ممزق

داخل الجدران المألوفة الضيقة

وحيث تنبثق الكلمات من أعماق الحقيقة

وحيث الجهد المتواصل يمد ذراعيه نحو الكمال

وحيث تقود العقل إلى الأمام

نحو أفكار وأعمال تزداد رحابة على الدوام»[1].

أيها الأخوة أيتها الأخوات: ـ

نحن الآن في رحاب مؤسسة علمية متخصصة في الدراسات التاريخية وفي مناسبة تأبين مؤرخ جليل وأستاذ كبير له عطاؤه الثقافي الذي يذكر فيشكر.. ووسط محنة قاسية يمر بها وطننا العربي وعالمنا الإسلامي فلا يمكن أن ننسى ما يحدث الآن لأنه يمس صميم وجودنا ويتسلل إلى عقر دارنا.

إن ما يحدث الآن في وطننا الكبير يعتبر مؤامرة صليبية صهيونية حاقدة شرسة ضد الإسلام والمسلمين، بدعوى الدفاع عن الحرية والشرعية وهي في واقع الأمر حمله جديدة تهدف إلى تدجين كل شيء في المنطقة: الإنسان، والإسلام، واللغة، والنفط وهي معركة تدور للاستثمار بآبار النفط العربي (بحشد هائل من قوى عالمية مدججة بآلتها العسكرية المتطورة، وخطابها السياسي والإيديولوجي وحشد من أدوات الاتصال والإعلام قلما شهدنا مثيلاً له[2] إنها الحرب لإعادة ترتيب الأمور، ورسم خريطة جديدة للمنطقة بمنطق القوة، إذ أن الغرب يرى أنه من الواجب أن يكون الإنسان قويًا ثم يصبح أخلاقيًا كما قال الروائي الأمريكي وليم فوكنر صاحب رواية (الصخب والعنف).

إن هذه الحرب ليست مفاجأة بل هي حلقة جديدة من حلقات الصراع بين الغرب والإسلام، إذ أن الغرب يرى أن البلاد العربية الإسلامية، هي من

---

(1) الأبيات للشاعر طاغور ترجمة الدكتور خليفة محمد التليسي. راجع «هكذا غنى طاغور».

(2) محمد علي شمس الدين: مجلة الكفاح العربي، العدد 654 الصادر في 11/ 2/ 1991م ص 50.

الأهمية إلى درجة أن أهلها غير جديرين بها، وأنه لا بد من تدجين لهذه البلاد، أنهم يريدون من الإسلام أن يكون إسلامًا أمريكيًا يُسقط من فرائضه فريضة الجهاد، ويريدون للغة العربية أن تصبح لغة فرانكوآراب، ويريدون للإنسان العربي المسلم أن يكون ذيلاً وتابعًا وصورة ممسوحة للنموذج الأمريكي، ويريدون لثرواتنا أن تكون تحت سيطرتهم.

أذاعت إذاعة لندن باللغة العربية في اليوم الثالث من شهر فبراير 1990م كلمة على لسان صحفي بريطاني قال فيها: لقد كان أمام الغرب عدوان اثنان أحدهما الشيوعية والثاني الإسلام، ولقد انهار صرح الشيوعية دون أن يقدم الغرب خسائر تذكر، واليوم يقف الغرب في خندق واحد لمواجهة العدو الباقي وهو الإسلام[1].

ومن هنا جاءت الحملات الصليبية المتوالية إلى الشرق الإسلامي بحقد دفين بهدف تطويقه واستغلال ثرواته وتدجين أهله بدعوى التحضير والتمدين بوسائل المكر والدهاء والدجل والوعود الكاذبة أحيانًا وبالسلاح المدمر أحيانًا أخرى.

لقد لبس نابوليون بونابرت العمامة والقفطان في حملته على مصر، وخاطب علماء الأزهر مبتدئًا ببسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك فعل الجنرال كانيفا عندما نزل إلى شواطئ طرابلس، حيث افتتح منشوره الشهير بالبسملة والتصلية على جميع الأنبياء والمرسلين، ثم الادعاء بأن إيطاليا لم تأت إلى ليبيا لتحتلها، ولكنها جاءت لتعطي للمواطنين الليبيين حقوقهم وحريتهم، مؤكدًا في زعمه أَن هذا الاحتلال هو قضاء الله وقدره الذي يجب أن يرضى به المسلمون، وإلا فإنهم يعتبرون رافضين لركن من أركان الإيمان!

أما الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون فقد كتب في الشهر الماضي في صحيفة (نيويورك تايمر) العبارات التالية: ـ (باستثناء دولة إسرائيل، ما من بلد في الشرق الأوسط يمكن اعتباره ديمقراطيًا أو على طريق الديمقراطية في المستقبل المنظور، وأمير الكويت هو دون شك من الدكتاتوريين الأكثر لطفًا في العالم، إلا أنه لن يكون إلا ديكتاتوريًا في حال عودته إلى القصر) ويُنهي

(1) محمد سعيد رمضان البوطي: ـ مجلة الموسم.

تصريحه بقوله (لذا فإن تدخلنا في الخليج يعتبر حملة راقية الأخلاق)[1].

نيكسون الذي طُرِدُ من منصب الرئاسة بسبب فضيحة ووترجيت اللاخلاقية الشهيرة يتحدث عن الأخلاق وعن الديمقراطية!

فواعجبي!!

أيها الأخوة أيتها الأخوات: ـ

نحن في حاجة إلى أن نقرأ التاريخ من جديد بعيون مفتوحة، لتكون لنا رؤيتنا المستقبلية التي تحدد الأهداف والغايات لأمتنا منطلقة من عقيدتنا الإسلامية وتصورنا الإسلامي، ولتجعلنا نعرف أعداءنا وأصدقاءنا وبالتالي نشق طريقنا في سبيل الحق والخير، وإلى النصر والعزة والاستعلاء، مؤمنين بأن التغيير الحقيقي لن يكون إلا وفقًا للمبدأ القرآني الخالد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد، آية: 11] مع الإعداد في جميع الميادين واستيعاب الماضي وتفهم حركة التاريخ ومعرفة (نواميس الكون وسنن الخلق، الهادفة إلى تحرير الإنسان من عبودية الإنسان والداعية إلى عبادة الواحد الأحد بنشر العلم وإقامة العدل[2]، وذلك يقتضي النظر إلى الزمن القادم ببصر جديد ونظر ثاقب، بغية تصور (المستقبل) المقبل انطلاقًا من شرفة الواقع الحاضر وبعد استيعاب مراحل الماضي[3].

أيها الإخوة أيتها الأخوات: ـ

نحن في حاجة إلى التمسك برسالة الإسلام إذا أردنا لأنفسنا العزة والكرامة، وذلك يقتضي الدخول إلى مدرسة الإسلام الكبرى لنتعلم من رسول الله ﷺ كيف يكون الخلق العظيم، ولنتعلم من أبي بكر الصديق كيف يكون التصديق، وكيف تكون الثقة في القيادة، ونتعلم من عمر بن الخطاب كيف تكون الشجاعة في قول الحق، ونتعلم من عثمان بن عفان كيف يكون الحياء، وكيف يكون الجود، ونتعلم من علي بن أبي طالب كيف تكون البلاغة وكيف

---

(1) مجلة كل العرب، العدد (439) الصادر في 21/ 1/ 1991م.

(2) محمد بريش: مجلة المستقبل العربي، العدد (144) ص (24).

(3) المصدر السابق: ص (27).

تكون الشجاعة، ونتعلم من العباس كيف يكون الفهم العميق، وكيف يكون الذوق الرفيع، ونتعلم من الحسين كيف يكون الصمود، وكيف يكون الاستشهاد في سبيل الحق.

رحم الله أستاذنا محمد بن مسعود وغفر له وأدخله فسيح جناته ورحم الله جميع المسلمين والمسلمات، وجعلنا من عباده الذين يلتزمون بما جاء في كتابه العزيز لأن فيه صلاح الدنيا والآخرة والعزة والكرامة.

وثقوا تمامًا بأن النصر مؤكد بإذن الله لأن العاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الدكتور محمد مسعود جبران

خواطر وارتسامات

د: محمد مسعود جبران(*)

حيَّا الله العهود التي ساعفتني بلقيا الفضلاء النابهين من رجال وطني الحبيب، وأغدقت عليَّ أياديها وأريحيتُها. بإدنائي من مراقيْ مجالسهم السابية ومنتدياتهم المؤنسة التي كانت تُفيض سويعاتُها في الأماسي والعشايا بالعلم والأدب، وتمتلئ بالنفيس من الذكريات والتجاريب، وتحفل أفياؤها بالظرف والإمتاع الذي لا ينقص شيئًا من وقار الجلَّة ممن عرفت من أولئك النابهين والفضلاء.

لقد كان من إكرام الله لي أن حبَّب إليَّ منذ أوائل الستينيات ـ الجرأة على الاتصال بالنخبة المباركة من أعلامنا الذين كان يشار إليهم بالبنان، وهداني إلى

(*) د: محمد مسعود جبران، ولد في مسقط رأسه مدينة طرابلس الغرب سنة (1366/ 1946) التي تلقى فيها علومه الابتدائية إلى الجامعة فقد تخرج في شعبة اللغة العربية بمعهد المعلمين سنة (1388/ 1968) محرزًا على الترتيب الأول، ثم اشتغل في التعليم العام مدرسًا مدة ثماني سنوات، ثم رشح لمواصلة دراسته الجامعية فنال درجة الليسانس سنة (1395/ 1975) واختير معيدًا في قسم اللغة العربية، الذي نال منه درجة الماجستير سنة (1403/ 1982) ثم تحصّل على دكتوراه الدولة في الأدب المغربي والأندلسي من جامعة محمد الخامس بالرباط، بدأ الكتابة في الصحف والمجالات منذ صغره عام (1383/ 1963) وله مقالات متعددة في طرابلس الغرب، العلم، الثورة، الفجر الجديد، الإذاعة، الرائد، الأسبوع الثقافي، الثقافة العربية، مجلة جوهر الإسلام التونسية. كما نشر بحوثًا في دوريات أكاديمية مثل مجلة البحوث التاريخية، ومجلة كلية الدعوة الإسلامية، ومجلة الشهيد، ومجلة كلية الآداب بتطوان، والمجلة المغربية بتونس، كما شارك في بعض المؤتمرات المحلية والعربية، وله آثار وكتب مطبوعة.

أقوم طريق حينما زيَّن لي هذا المسلك الواضح في التعلق بالرعيل الرائد ـ على الرغم من الفارق الكبير الملحوظ بين الضليع والضالع في السن والفكر والتجربة، والذي لم يقابل إلا بالعطف والإكبار من أولئك الكبار. لقد كان كلُّ رجل منهم رمزًا من رموز الوطنية الحقَّة، وشارة من شارات المعرفة العميقة، وعلامة من علامات الانتماء الصحيح.

وقد كان في طليعة من شرفني القدر بالتعرف عليه من تلك النخبة المربي الجليل الأستاذ محمد بن مسعود ـ رحمه الله ـ الذي نخصُّه بهذه الكلمة للإشادة بأَياديه، والتنويه بفضله في خدمة الديار التي أنجبته وأحبَّها؛ فنصح لها ولأهلها وكان كثير الترداد في مقام ذكرها لمقالة الشاعر المغبون المحبِّ التي جمع فيها بين التوجع والتودد:

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة.. وأهلي وإن ضنُّوا عليَّ كرام

وٱسمحوا لي أيُّها السادة الأوفياء أن أنثر على مسامعكم الكريمة في هذا المقام الذي سارعتم لتأبين الأستاذ فيه، وٱستلهام ذكرياتكم معه بعض خواطري وٱرتساماتي حوله.

لقد كانت بداية معرفتي بهذا المربي الأستاذ محمد بن مسعود من خلال دراستي كأبناء جيلي لكتبه في المواد الاجتماعية التي قررتها وزارة المعارف الاتحادية عهدئذٍ في التعليم العام، وهي الكتب التي قرأنا جُلَّها في المرحلة الابتدائية والإعدادية، وانتفعنا بمعلوماتها المتنوعة، التي كان يعرضها الأستاذ في عبارة واضحة، ومسرد مركز مختصر، لا يعمد فيه إِلى حشو أو تطويل، ويذكر جيلنا كيف كان يغرينا هذا المنهج الأسلوبي الذي توخاه المؤلف في تأليفه بحفظ الكثير من فقره وعباراته وتعبيراته المتسمة في الأفشى بالنصاعة والرشاقة واليسر.

ولم تكن شخصية الأستاذ محمد بن مسعود بعد ذلك محجوبة عن أنظارنا؛ فقد كنا نشاهده في شوارع هذه المدينة الجميلة طرابلس الغرب، التي كنا نتساكن فيها في غير بعد؛ فنبصره يتقلَّب في إِجوائها الساكنة كما كان يتقلب سائر المتعايشين فيها، والذين لم يكونوا من الكثرة والاختلاف كما نشاهد اليوم، فنراه رجلاً متفردًا بين أبناء جلدته وأَديمه في قيافته وسمته، وهو يعتمر

طربوشه القاني ويتأبط حقيبته التي كادت أن تكون في سني حياته العملية من لوازمه اللازبة. يحفُّه في سيره وممشاه وقار طبيعي غير مفتعل، وتحوطه من عارفي فضله كلمات منعشة دافئة يردُّ عليها بأحسن منها.

لقد كنتُ مع لداتي وأقراني نشهد ذلك المشهد المتكرّر المألوف المأنوس عن بعد، إلى أن صار لدينا معلمًا من معالم مدينَتنا الرائعة؛ ولكننا لم نكن نكتفي من ذلك المعلم بمجرد المشاهدة، بل كان يرتبط مشهدُه في بعض الأوقات ارتباطًا شرطيًا بالمنهج المقرر في العلوم التي عرف بها؛ فتستدعي ذاكرتنا بمرآه أسماء الكتب التي ألفها، كما نستنطق حوافظنا لاستذكار ما حفظناه منها، ولا يزداد الأستاذ عندنا ـ على بعده الذي كانت توجبه البواعث المتعدّدة أيامئذٍ إلا تقديرًا واحترامًا.

ثم قدّر لنا غبَّ ذلك الإلف لذلك المعلم الذي كنا نرقبه عن بعد، أن يقترب منا، وأن نقترب منه، فامتلأت طوايانا محبَّةً له وتجلَّة لشخصيته.

لقد قام الأستاذ محمد بن مسعود ـ وهو يقترب من جيلنا في أوائل الستينات ـ بالعديد من الزيارات إلى «مدرسة طرابلس الإعداية» التي كنا ندرس فيها بصفة «مفتش عام المواد الاجتماعية» ولفظة المفتش كان لها رنينها وإيحاؤها الخاص في ذلك الزمان، وقد صار رجال التربية المحدثون يتحامون اللفظة، ويضعون موضعها لفظة «الموجّه» التي لا تشيء بشيء من ذلك الإيحاء والرنين الملموس في اللفظة الأولى. ومن الأَسف أن أقول ما أحسن مردود الكلمة الأولى على التعليم والتربية على الرغم من جهامة اللفظ وكزازته وما أسوأ ما جرته عليهما الكلمة الجميلة المتأنقة «الموجه»، حينما صار المنعوت بها «خالي الوفاض، بادي الأَنقاض» يجامل الطالب الكسول، ويخشى صولة المدرس المقصِّر، ولا ينهض بواجب كتابة التقارير الموضوعية، التي تصور الجوانب الإيجابية، والجوانب السلبية في العملية التعليمية والتربوية.

لقد كان الأساتذة والطلبة يدركون ـ على حد سواء ـ مدلول لفظة المفتش فيقيمون للقائم بهذه المسؤولية حسابًا وأي حساب.

كان أساتذتنا ـ أحسن الله إليهم جميعًا وأثابهم خير الثواب ـ يستشعرون عبء المهمة التفتيشية التي كان يقوم بها في المدارس رجال الوزارة اللامعون

في المواد المختلفة ويحسون بخاصة ضخامة هذه المسؤولية إذا كان القائم بها الأستاذ محمد بن مسعود إذ يتصورونها ليست مجرد مهمة عابرة، أو زيارة شكلية تقتضيها المراسم والتقاليد التعليمية، وإنما هي مفاتشة بالكامل لمعلومات الأستاذ في المقرّرات المكلف بإيصالها لأذهان طلابه، كما تعني نظرًا دقيقًا في طريقة أدائه من خلال تحريره في كراسة التحضير وفاق التقنيات الفنية المتعارف عليها، ومن خلال أسلوبه في القاء الدرس وما يستتبعه من العناية باللباس واستعمال وسائل الإيضاح، وهي إلى ذلك ليست مقصورة على متابعة حاله في تلك الساعة التي يحتشد فيها المدرس كلَّ الاحتشاد، وإنما معرفة مدى إخلاصه وحرصه في الأشهر السابقة من خلال ما كان يطرحه الأستاذ محمد بن مسعود من فيض غير قليل من الأسئلة والمناقشات في مواضع مختلفة من موضوعات المواد الاجتماعية يكتشف بها المخبأَ المستور من سير التعليم.

لا زلت أذكر بعض زياراته التفتيشية إلى الفصول التي كنت أدرس فيها، فأراه وهو يدخل إلى الفصل في اطمئنان بهيئته المعهودة؛ ليقف أمامنا في حزم يتأمل به نظام الطلبة في الوقفة الصحيحة والاستعداد قبل أن يشكرهم على تحيتهم ليمضي إلى آخر الحجرات حيث يرقب ما يمكن أن يدور فيه، وبخاصة تصرفات الأساتذة الذين كان جلُّهم من الشرق. ولا زلت أذكر أيضًا كيف يبادر بعد ذلك إلى مناقشة الطلاب، وكيف يتوقف أساتذتنا لتتم مفاتشتنا بالأسئلة الكثيرة التي يوزعها يمنة ويسرة في تتابع، يمتدح أثناءه المجتهد المجيد؛ ويعتب بقسوة على الكسول وبخاصة إذا كان الطالب أسود اللون مثلي؛ إذ يخصه بمزيد من التقريع، بل يشتد عليه في النكير، وربما رماه بشرر كالقصر.

ولقد أودع أساتذتنا المشارقة في نفوسنا الغضة كثيرًا من الرهبة، ومن إقامة الحساب لمثل هذه المهام التفتيشية، كما أَسقطوا على بواطننا ما كان يعتمل في بواطنهم من الخوف من الأستاذ محمد بن مسعود وتفتيشه، وكثيرًا ما حملونا بطرائقهم في الترغيب والترهيب على وجوب المذاكرة والمراجعة، والاستعداد لزياراته والانتباه في أثناء طرح الأسئلة والاجابات.

وما من ريب في أن هذا التفتيش الذي كان الفقيد ـ رحمه الله ـ رجلاً من رجالاته، بل من أَشهر قادة حملاته في تلك المرحلة وقبلها قد عاد على التعليم، بل على طرفيه الأساسيين الأساتذة والطلبة بالعوائد الوفيرة، إذ لم يكن يصدر

الأستاذ في تلك الصرامة عن حفيظة أو عن مركب غرور أو تبجح بقدر صدوره في ذلك عن محبَّة خالصة، وتفانٍ صادق.

فقسا ليزدجروا ومن يك راحمًا ... فليقس أحيانًا على من يرحم

إذ لا خلاف في أنه كان ـ شأنه في ذلك شأن الجيل الغيور الذي تأسس به التعليم الحديث في ليبيا ـ محبًا لوطنه، حريصًا كل الحرص على أن تنشأ الأجيال فيها نشأة قوية واثقة، ومن أقواله المأثورة في أحد كتبه مخاطبًا الدارسين «والوطن يريدكم في المستقبل أن تخدموه بالتحصيل الجيد، والعرفان الصحيح؛ فعساكم بتوفيق الله أن تكونوا رجالاً نافعين، وبررة مخلصين»[1].

أما اقترابي من عالمه الخاص فإنه لم يكن مفصولاً عن مشاهد اقترابه منا فيما أَلمحنا إِليه من زياراته إلا بشهور قليلة معدودة، وذلك حينما صرت إبَّان تلك المرحلة من بداية الستينيات ـ أحد رواد مكتبة الأوقاف العتيقة في مبناها القديم الأَنيق المجاور لجامع سيدي حمودة، والمطل على الميدان المسمَّى سابقًا «ميدان الشهداء».

لقد كان رواد هذه المكتبة أيامئذ قلائل لا يكادون يتجاوزون في مجموعهم من الجيل القديم والجيل الجديد خمسة عشر قارئًا، ولست أدري مرد هذه الندرة، هل هو عائد إلى وضع المكتبة الذي يراوح مدخله بين الظهور والخفاء؟ أو إلى الجو التقليدي الرتيب الذي يستمد أَنساقه من وقار الشيوخ المختلفين على المكتبة، أو هو عائد إِلى ومضة الطفرة التي التمعت في البلاد بظهور النفط خلال تلك السنين؛ فصيَّرت الناس منذ ذلك التاريخ سكارى وما هم بسكارى.

مهما يكن من شيء فقد وجدت للأستاذ محمد بن مسعود في تلك المكتبة الحافلة الهادئة مجلسًا مشهودًا في مواجهة مجلس الأستاذ أحمد قنابة، يتقابلان فيه بطربوشيهما وثقافتهما تقابلاً جميلاً مستملحًا؛ وقد كان يأتيه الأستاذ ابن مسعود في العشايا حيث يقرأ فيه قراءاته المتنوعة، ويطالع مطالعاته في الكتب القديمة والحديثة التي تعج بها المكتبة، ويدوّن ما يعن له من مسائل

(1) موجز تاريخ ليبيا الحديث: 7.

تهمه، ويتابع في آخر الوقت ـ قبيل المغرب ـ الدوريات الليبية وغيرها من الدوريات الأخرى، وبخاصة المجلة الألمانية المصورة «بريد الشرق» التي كانت ترد إلى مكتبة الأوقاف بانتظام؛ أو يتجاذب أطراف الحديث مع الأديب الأستاذ أحمد قنابة، ومع المثقفين الذين كانوا يلمون بالمكتبة بين الحين والحين مثل السفير العالم المؤرخ الدكتور عبد الهادي التازي، ومثل مستشرق روسي كان يعد نفسه في تلك الفترة لتأليف كتاب عن تاريخ ليبيا.

ومن أبرز اَرتساماتي عن الأستاذ في هذا الطور، بل إلى أخريات سني حياته إيثارُه الحديث في كلٍّ ما يعرفه من مسائل العلم والأدب والاجتماع وحتى السياسة الخارجية إِلا السياسه المحلية ورموزها القائمة، فقد كان يتحاشى تناولها.

والظاهر أن تعرضه لهذه السياسة المحلية تلويحًا أو تصريحًا قد كلَّفه شيئًا غير قليل من المكابدة حينما صرّح بموقفه وتصوّره لشكل الإستقلال الذي نالته ليبيا في سنة (1372/ 1952) فسمَّاه في كتاب الرحلة بـ«الإستقلال المكبّل بقيود حربية وسياسية لا عداد لها»[1] فدعاه ما لقيه من المعاناة إلى شيء كثير من الحذر حتى في مجامع الثقات، كأنه يعبِّر بمسلكه عما عبّر عنه العالم اللغوي ابن فارس[2] قديمًا بقوله:

اسمع مقالة ناصح … جمع النصيحة والمقه
إِياك واحذر أن تكون … من الثقات على ثقه

بل ربما حمله ما لقيه من المضايقة إلى شيء من المصانعة والمجاملة الظاهرة فيما يلوح من ثنائه المعتدل على النظام القائم في تلك السنوات، وأثبات رسم رمزه في بعض المؤلفات.

أما آخر المجالس والندوات العامرة التي شهدت فيها الأستاذ محمد بن مسعود في أخريات حياته، وكان أحد أعمدتها البارزة، ومن أَظهر المشاركين في مطارحاتها ومطايباتها والمبادهات في مسائلها المثارة؛ فهو مجلس أستاذنا

(1) كأنك معي في طرابلس. وتونس: 56.

(2) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، من أعلام العربية الكبار، وصاحب «معجم مقاييس اللغة» و «الاتباع والمزاوجة» و«تمام فصيح الكلام» وغيرها من التآليف المفيدة، وأصح الأقوال في وفاته ما ذكر أنه توفي عام (395).

علي الفقيه حسن ـ رحمه الله ـ والذي كانت تنعقد هالته في بيته العامر في الفترة الواقعة بعد صلاة العصر إلى آذان المغرب من كلِّ يوم، ولا أَبالغ إِذا قلت إِن الأستاذ محمد بن مسعود كان من أبرز الحضور في هذا المجلس لما كان بينه وبين ربِّ الدار من الودِّ الصافي المتبادل.

وحقيق بالذكر أَن اختلافه على هذا المجلس الذي كان يسميه «المجتمع الحسني»[1] لم يكن وليد هذه الفترة من السبعينيات والثمانينيات التي عرفتُ فيها هذا المجلس؛ وإنما كان ـ كما سيتبين فيما بعد ـ إِمتدادًا لماضٍ بعيد تزامن مع رجوعه إلى ليبيا.

كانت هذه اللقاءات المحبَّبة الأثيرة مألفًا وملتقى اعتاد أن يجتمع فيه ثلَّة من رجال العلم والأدب والسياسة من الجيل الماضي من أمثال أحمد الفقيه حسن ومحمد توفيق المبروك، ومحمود الفيلالي ومحمد عبد الغني الباجقني، ومصطفى المبروك، والطاهر أبو زبيدة وحامد أبو سريويل ومصطفى السعداوي وعبد السلام أدهم وغيرهم كما كان يُلِّم به الفينة بعد الفينة رجال من أهل الثقافة والعلم من أمثال الأَساتذة اسماعيل السويح وأحمد نبيه المصري ومحمد خليل القماطي ومحمد الأسطى وفتحي الخوجة وعلي حسنين والهادي المشيرقي وسعيد عمر وغيرهم كذلك غشيه في زيارات سريعة بعض العلماء ممن كانوا يفدون على البلاد وبخاصة من مصر والشام وتونس.

في هذه اللقاءات تأكَّدت معرفتي بشخصية الأستاذ محمد بن مسعود الذي صار يدعوني متحببًا بعبارة «ابني وسمِيّ»، وخبرت بمرور الأيام والأعوام ملامح من تكوينه الثقافي والفكري، ومظاهر من نفسيته وخلائقه وما كان يرتضيه ويجتويه من الحياة والأَحياء، ولا أخفي عنكم أنني أَستفدت من نظراته وتجاربه في الحياة. كان الأستاذ في تلك السنوات التي أعقبت تقاعدَهُ وإحالته على المعاش أحد رجال المنتدى المثابرين على الحضور يتخذ مجلسه بصورة كادت أن تكون دائمة في مكان لا يريم عنه، وكان بفضل ما توفر عليه من الثقافة والخبرة الواسعة والتجارب الحفيلة، يحظى بالقبول لدى جلِّ المختلفين على

(1) كأنك معي في طرابلس. وتونس: 150.

ذلك المجلس كان مثقفًا ذرب اللسان، يعمل على أن يورد كلامه وأفكاره في عبارة عربية طلية، عارفًا بالمواضع التي يحسن فيها الكلام، وبالمواضع التي يكون فيها الصمت من مظاهر البلاغة. حسنًا في التأَتي للخطاب، حريصًا على مراعاة مقامات المخاطبين، ونعتهم كبروا أو صغروا - بالنعوت اللائقة بهم، مع قدرة مواتية على الظرف والإتحاف بالنادرة والمفاكهة المتسقة مع وقار المجلس. طبع مهذب مكتسب حازه الأستاذ بالتعليم وبإدامة النظر في الكتب، وانعكس على سلوكه بتشربه من التقلب في أوساط ثقافية عاشها في مصر والشام.

وفي ظل هذا السكون السابي الجميل سمعنا منه الكثير من أحاديثه الغنية، وذكرياته الثرية، ومن أتراحه وأفراحه مما عايشه في حياته. حدثنا عن بعض ذكرياته القديمة في الشام وعن انطباعاته وحياته في مصر، وكيف كان ينوي إتمام دراسته في الأزهر ثم تدخلت الظروف لتتجه به إلى الدراسة في دار العلوم، وكم كان يستعذب ذكرياته في هذه الدار فيشير إلى قوة مناهجها، وإلى أساتذته الذين كانوا ينهضون بتدريس تلك المناهج، يذكر الشيخ أحمد الاسكندري فيذكر حرصه على الانتصار للعربية، وتعصبه لإشاعتها، وتبحره في علوم اللغة والأدب، وعدَّه من يتهاون في أمر هذه اللغة في عداد الزنادقة والملحدين.

ويذكر الدكتور علي العناني فيصفه بالعلاَّمة الفيلسوف؛ ويشير إلى سعة علمه في الفلسفة القديمة والحديثة وبخاصة الفلسفة الإسلامية بالإضافة إلى معرفته بتاريخ الأديان، كما يلمع إلى أستاذيه اللذين أفاداه في علوم التربية وطرق التدريس الأستاذ محمد عطية الأَبراشي صاحب التآليف الكثيرة، والأستاذ زكي المهندس المعروف لدى طلابه في دار العلوم بحبه لهم، وحدبه عليهم، وغرسه في نفوسهم روح الإخلاص. كما كان ينوّه بذكر أستاذه الشيخ محمد فخر الدين، وتفانيه في العلم وتأليفه كتاب «المصوّر الجغرافي» المعدود أول أطلس جغرافي في اللغة العربية، وبشخصية أستاذه أَحمد يوسف نجاتي المشهور بحذقه اللغة العربية والتاريخ، وبميله إلى التأليف الذي ترك فيه آثارًا غير قليلة، والشيخ عبد الفتاح خليفة الذي عهد فيه طلابُه الصلاح والاستقامة وغيرهم من فضلاء الأساتذة والشيوخ الذين تأثرهم. ومن طرائف ما سمعته من ذكرياته مما

جرى في امتحان من امتحانات دار العلوم أن الأديب الكبير الشاعر علي الجارم ـ وكان من كبار رجال التعليم في مصر ـ ضبط أثناء تفقده لسير الامتحانات طالبًا مناكفًا متلبسًا بالغش فانتهره وحرمه من مواصلة الكتابة فاستشاط الطالب غيظًا، وأغلظ للأستاذ الجارم القول عادًا فعله جرمًا غير مستغرب ضمن جرائمه التي يوحي بها اسمه المشتق بصيغة اسم الفاعل «الجارم» وكيف ساعفت البديهة، وسرعة الهاجس الأستاذ الأديب في ذلك الموقف فردّ على ذلك الطالب في غير انفعال بهذا الشاهد: «أنا الغريق فما خوفي من البلل»[1].

وفي الحق فإن أستاذنا بمقدار ما كان يرى ممتعًا في مؤانسته، هادئًا وادعًا كالبحر الرائق الذي ينبسط في امتداد وسكون، والله وحده يشهد بصفاء نفسه وحبّه الخير للناس جميعًا ـ بمقدار ما يرى في بعض الأحايين في المجالس المذكورة، أو في غيرها من المواقف الحياتية من الأحداء الصرحاء، وذلك إذا آستثيرت كوامنه، أو حركت سواكنه، أو أحس من مخاطبه ـ تصريحًا أو تلويحًا ـ قتامة في الجبلة والنحيزة، فهنالك تثور ثائرته، ويجاوز عنده الحزام الطبيين، وينقلب ماء بحره الهادئ إلى أمواج متلاطمة، ومع ذلك فإنك واجد وأنت تتابع كلماتِ ثورته، وألفاظ فورته سماع قطعة نثرية فنية في الدفاع والهجوم، يبرز فيها انفعالُه بعض مواهبه في فن المحاماة الذي نال شهادته؛ ثم أخفاها إيثارًا ـ كما ذكر ـ للراحة والسلامة. وكان مع ما عرف به من حسن القصد والنوايا مؤثرًا العزلة متجافيًا عما يجره الاختلاط من حسائف وفواجع، ومتعلقًا بما يجده في الوحدة من متعة وسلوّ.

ولا مشاحّة في أن هذا المنزع النفسي قد أبعده كثيرًا عن تيار الحياة، وأقصاه عن ربط العلائق بالناس، وبخاصة في سني حياته الأخيرة التي غادر فيها جلُّ أقرانه، بل جُلُّ عارفيه الحياة الدنيا، فصار رهين وحدة وآغتراب.

على أن الذي قدّر له أن يستبطن نفسيته، ويستكنه هذا السلوك المحبّب لديه منذ فترة مبكرة من حياته لا يعدم أن يهتدي إلى أنه كان يألم فعليًا من

(1) هذا الشطر لأبي الطيب المتنبي من قصيدة له في مدح أبي الهيجاء عبد الله سيف الدولة في شعبان سنة 341، وصدر البيت قوله: «والهجر أقتل لي مما أراقبه» ديوان المتنبي 3، 4: 76.

جرحين غائرين نازفين، جرح ذاتي داخلي، وآخر خارجي، سوف ندل عليهما ونعرض لهما من خلال استعراض رحلة حياته باعتبارهما في تقديري من البواعث الأساسية لاعتزاله.

على أننا لا نودُّ أن يكون حديثنا عن الأستاذ محمد بن مسعود مصروفًا إلى مجرد استلهام الذكريات، أو استيحاء مشاهد الأيام الخوالي التي شرفت فيها باللقاء به، وإنما نود له أيضًا أن ينحو منحى التوثيق لأبعاد هذه الشخصية ولأدوارها المحمودة في سياق تاريخنا الثقافي والتعليمي في هذه البلاد، والذي نؤثر عرضه من خلال مرحلتين، تميزت بهما حياته الممتدة:

الأولى: مرحلة الكفاح من أجل التعلم والتحصيل.

والأخرى: مرحلة التفاعل والتأثير في مجال التعليم والثقافة.

أ ـ مرحلة الكفاح من أجل التعليم والتحصيل:

إن أوجز ما يمكن أن يقال في حياته أنها حياة مكافحة، توشّحت بالعصامية النادرة، والبذل الموصول والصبر المحتسب في ملاقاة الحياة والأحياء.

يخبرنا الأستاذ ابن مسعود في تواضع جمٍّ، وفي بوح وجداني أشبه بفن الاعترافات بانتمائه الاجتماعي المتواضع غير المترف، والبعيد عن كل ما له ماتة بالإنتماء القبلي أو العشائري، إنه كما يصوره قلمه الصريح روح عصامية غير عظامية.

فقد تلبست حياته ـ كما يدل البوح الوجداني ـ بضيق ذات اليد منذ فواتحها، واتصلت بداياتها بشظف العيش، ومرارة الاغتراب التي ذاقها منذ طفولته المبكرة.

لقد ولد حسب التاريخ المقرر في تراجمه في ظرف تاريخي قاس كانت تمر به ليبيا إبّان أخريات العهد العثماني، عانت خلاله الأسر من الضوائق المادية، وقد انتسب المترجم في ذلك الظرف إلى كتاب قرية الزغابة بمصراته، وشرع في حفظ كتاب الله على يد الحاج محمد بن زغبية، ثم انتقل بعد ذلك إلى جامع سيدي التواتي حيث مضى في حفظ القرآن على يد الفقيه الشيخ

مصطفى التريكي، ثم سُجّل بعد ذلك في السنة الأولى من سني المدرسة التركية الابتدائية، التي كان والده أحد المشتغلين فيها، والتي تركها في سنة (1328/ 1910) لضعف مرتبها، وقلّة عوائدها، ورجع من جديد إلى «الرديف» بتونس يواصل كدّه وكدحه الذي ابتدأه قبل هذا التاريخ.

ويبدو أن المترجم أبدى خلال دراسته في المدرسة التركية شغفًا بالعلم، وعناية تامة به، مما حبّبه إلى أساتيذه ومعلميه، الذين نقلوه معهم إلى استنبول عند نشوب الحرب الليبية الإيطالية سنة (1329/ 1911) تقديرًا لوالده ومراعاة لشغفه واجتهاده[1].

لقد هجر الفتى بلاده، وترك أهله، وتخلّى اضطرارًا أو اختيارًا عما ينبغي أن ينعم به كلُّ طفل من دفء حنان الوالدين، ومن العواطف الأسرية الفياضة وصحب أساتذته الأتراك الذين توجهوا به ـ ولما يزل غض الأهاب ناعم الظفر لمّا يبلغ العاشرة من عمره ـ إلى بعض المدارس في استنبول حيث بقي مدة ثلاث سنوات من سنة (1911) إلى سنة (1914) ومن المؤسف أنه لم يحدثنا بشيء عن هذه الفترة من حياته.

ولكنه حدثنا ـ ضمن اعترافاته والتراجم التي كتبها لنفسه برحيله بعد ذلك عن استنبول إلى سوريا التي لا تزال إلى ذلك التاريخ تابعة للدولة العثمانية؛ فخفَّ بحلوله فيها ما أحسه من الاغتراب؛ وأَخبر أنه دخل فيها ـ خلال عهد «فيصل» مدرسة لتعليم البرق والهاتف بمجلّة «سوق ساروجة» بدمشق، وأنه أدّى امتحاناته في مقرراتها التي درسها في شرقي الأردن ضمن بعثة فنية بعد مُضي ستة أشهر؛ فنجح في تلك الامتحانات، وعُيّن موظفًا في وزارة الحربية التي كان يرأسها القائد يوسف بك العظمة، وألمع إلى أنه كان في عمله بهذه الوزارة مرتبطًا بشعبة أركان الحرب مصطفى وصفي كما ألمع إلى ما استفاده شخصيًا من هذه الشخصية العسكرية المخلصة من الشيم والمثل التي رُقّي بفضلها إلى مراقي عالية قال «ومن هذه الشخصية العظيمة تلقح المؤلف بالروح المثالية المخلصة في تأدية الواجب وبفضل هذا الأركان الفذ ـ خريج الكليات الحربية في تركيا وألمانيا ـ رقي المؤلف لمثل عمله الفني في البلاط الملكي بمحلة الجسر».

---

(1) كأنك معي في طرابلس. وتونس: 30. رمضان. السويحلي: 323، 324.

ويبدو أن كفاحه من أجل التحصيل لم تتسع له سوريا في ذلك الوقت؛ أو أنه آثر أن يرحل إلى مصر ليقرب من بلاده من جهة؛ وليجد في جامعها المعمور «الأزهر» ما كان يطمح إليه من معارف وعلوم من جهة أخرى.

لقد أذخر ـ فيما أخبر به ـ جزءًا غير قليل من مرتباته التي حصل عليها في سوريا أيام خدمته، ثم أعين على أمر رحيله من سيّدة فاضلة في دمشق حلاَّها بقوله «الحسيبة النسيبة السيدة أنيسة اليشرطية، حفيدة القطب العظيم سيّدي علي نور الدين آل يشرط»[1] فطار هذا الشاب الطموح على جناح الشوق والرغبة العارمة في التعلم إلى القاهرة التي استقر بها ليبدأ رحلة أخرى في التلقي والتحصيل، ربما غدت من أجمل أطوار مراحل كفاحه التحصيلي.

فقد بذل منذ حلوله في مصر جهودًا مكثفة ومضاعفة خوّلته أن ينال في السنة الأولى شهادة الأزهر الابتدائية النظامية من الخارج قال «وكانت بقوة مناهجها الإسلامية والعربية والرياضية والعلوم الحديثة، أمنع على غير المجدين من عُقاب الجور»[2].

ثم شرع في صعود هذا السلم التعليمي الأزهري خلال العهد الأول من مشيخة الإمام المجدّد محمد مصطفى المراغي الذي كان يتابع إصلاح الأزهر الذي بدأه الشيخ محمد عبده؛ فاشترك في امتحان ثانوية الأزهر التي وصف مناهجها بأنها كانت متقدمة وراقية في مستوى تجهيزية دار العلوم، ليس في المواد العربية فحسب، بل في مواد الجبر والهندسة؛ فأدّى الامتحان في تلك المناهج، وأخبر أنه كان واثقًا من اجتيازه والنجاح فيه، لولا صدور قرار مفاجئ منع الحصول على الشهادة الثانوية الأزهرية ونيلها من الخارج، إلا بعد مرور أربع سنوات من إِحراز الشهادة الابتدائية.

ومما أخبر به وسجله في كتاب الرحلة متصلاً بكفاحه من أجل التعليم في العشرينيات من هذا القرن أنه اتصل ـ حينما تقلّد رئاسة وفد طلاب رواق المغاربة المكلفة بإصلاحه ـ بالشيخ محمد المراغي، وأخبره بما عاقه عن مقصده، ووقف به قاصرًا عن تحقيق مطامحه في الحصول على الشهادة الثانوية

(1) م.ن: 31، م.ن: 328.

(2) م.ن.

للقرار المذكور فأمر ـ رحمه الله ـ أن تعطى له بصفة ممتازة خاصة، وأشار على إدارته بالأسباب المعقولة». ولكن الإمام المراغي لم يعتم طويلاً في مشيخته، فقد استقال غب ذلك الوعد بسبب الصراع الدائر أيامئذ في الأزهر بينه وبين خصومه، فحالت الحوائل دون إنفاذ وعده للمترجم، ووُضعت العقباتُ من جديد أمامه فضاقت نفسه ذرعًا بهذه الصدفة، وحمله ذلك على ترك هذه الخطة من التعليم الأزهري، والتوجه إلى وجهة أخرى من التعليم في دار العلوم، واستشفع لتحقيق الأمل في تلقي معارفه وعلومه «بعظيمين مصريين» كما وصف صاحب الدولة محمد محمود باشا وكان يشغل منصب رئيس الوزراء، والسيد كامل عبد الرحيم؛ فقبلت فيه شفاعتهما والتحق بدار العلوم[1] إبان مجدها وازدهارها بعد مكابدة وجهد، وانعكس عليه منها ما انعكس على لذاته وأترابه من رسالتها التي نهضت بها هذه الدار ليس في مصر فحسب بل في البلاد العربية والإسلامية وغيرها، يقول الأستاذ سعد اللبان رئيس جماعة دار العلوم «والعجيب في أمر هذه الدار أنها مع ما ميزت به خريجيها من ميزة الإحاطة بالقديم، والتعمق في أصوله، قد طبعتهم بطابع المرونة والاستعداد للمزيد من العلم، ومسايرة النهضة كائنة ما كانت أساليبها وعناصرها، بشرط ألا تنكر القديم، أو تحاول قطع الصلة به»[2].

وقد عدت إلى كتاب «تقويم دار العلوم» العدد الماسي الذي أعدَّه الأستاذ محمد عبد الجواد، فوجدت أن المترجم محمد بن مسعود قد انتظم في سلك طلاّب هذه الدار في جماعة الطور السادس بحسب تقسيم الأستاذ المذكور[3] وهو الطور الذي يعُد ثماني سنوات من سني الدار مبتدئة من سنة 1930 إلى 1938، والذي أعقب ما أسماه المؤلف النظام المؤقت فيها، واستقر به الحال على نظام واحد «وهو الخاص بخريجي تجهيزية دار العلوم ومن في مستواهم»[4].

وأَكبَّ الأستاذ محمد بن مسعود على هذه الدراسة الجديدة المنظمة،

---

(1) كأنك معي في طرابلس. وتونس: 32. رمضان السويحلي 329.

(2) تقويم دار العلوم: ف.

(3) م.ن: 59.

(4) م.ن: 59

وظلّ خلال سنواتها الأربع على المعهود فيه من الحرص على الانتفاع بأساتذة الدار، والمثابرة على دروسها، وما روض نفسه عليه من الجدّ والمصابرة إلى أن وفق ـ ضمن جماعة دفعته التي بلغت في سنة 1935 مائة وخمسة دارسًا حسب ما جاء في التقويم[1]، لنيل شهادة الدار، وكان من بواعث فخره ـ رحمه الله ـ ومما كان لا يني عن ذكره في مقام الاعتزاز في بعض المجالس وفي مواضع من كتبه، أنه نال تلك الشهادة المتميزة بتفوق نوهت عنه في حينه أمهات الجرائد المصرية كالبلاغ والأهرام والمقطم، كما أن جريدة الأهرام نشرت إلى جانب ذلك التنويه صورته، فكان بذلك النجاح أول الدارسين الليبيين الذين ظفروا بشهادة دار العلوم، وبمثل هذا التنويه.

ومن مثار فخره، بل مما كان يملأ جوانحه بالاعتداد بهذا التفوق، أنه مشهود له به من جلّة العلماء الأعلام الذين كانوا ينهضون في ذلك الطور بعبء التدريس في تلك الدار ممن ألمعنا إلى أسمائهم من أمثال الشيخ أحمد الاسكندري والدكتور علي العناني والأستاذ زكي المهندس والأستاذ عطية الأبراشي والأستاذ طه عبد البر والأستاذ عبد الفتاح خليفة وغيرهم، ومن أمثال الأساتذة علي الجارم ومصطفى أمين ومحمد أحمد جاد المولى الذين كانوا أعضاء بارزين في اللجنة الممتحنة.

كما أنه ـ كان شديد الاعتزاز بأن زملاءه ممن شاركوه في التحصيل، وممن اشتركوا معه في اجتياز هذا الامتحان والفحص ـ كانوا من الطلبة الممتازين الجادين، الذين غدا بعضهم من كبار رجال مصر في التعليم وفي الحياة العامة، يكفي أن أذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر الأستاذ المؤرخ الدكتور محمد ضياء الدين الريّس، الذي صار بعد ذلك من أبرز وجوه الأساتذة في دار العلوم، والمؤرخين في مصر.

كما أشار في بعض مجالسه إلى أستاذ شهير آخر ربطته به الزمالة وعلاقة المودة في دار العلوم، وقد كان هذا الأستاذ معدودًا من مشاهير الأدباء والنقاد من أنصار المذهب الجديد في الأدب العربي الحديث، ثم اتجه بعد ذلك اتجاهًا آخر فصار من الطبقة البارزة من المفسرين، وأعلام الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي في العصر الحديث.

(1) تقويم دار العلوم: 782.

لقد طالت به هذه الرحلة أو الهجرة في ديار الشرق بدءًا باستنبول وانتهاء بمصر أكثر من أربع وعشرين سنة، ذاق فيها دون شك قبل أن يحظى بالنجاح والتفوق ـ صنوف الحرمان الروحي، وضروب الألم النفسي اللذين تلمظ رحقيهما المرَّ زمن اغترابه وإلى أن عاد من مهجره إلى وطنه شابًا فتيًا في سنة (1354/ 1935) فوجد أباه متوفيًا في تونس «بعد أن كبرت سنه، وتبدّدت مكاسبه»[1] ووجد أخويه الكبيرين قد توفيا زمن الحرب قبل أن يتزوجا، ووجد والدته كما ذكر «حيَّة، وهي في حال أسيف»[2]. ولم يبق من أسرته إلا أخته الوحيدة التي تزوجت أبان غيابه، وهذا الحرمان هو ما وصفناه سلفًا بالجرح الداخلي الذي كان أستاذنا يألم من مأسويته في صمت.

ب ـ مرحلة العطاء والتأثير في المجال الثقافي والتعليمي:

في الحق أن عطاءه في مجالي التعليم والثقافة لم يبتدئ بعودته إلى بلاده ليبيا بعد حصوله على إجازة دار العلوم بمصر سنة (1354/ 1935) وإنما بدأ كما جاء في بوحه الوجداني ضمن كتابه كأنك معي في طرابلس وتونس في فترة مبكرة من شبابه، إذ كان منطلق شروعه في ممارسة التعليم في زمن إقامته في دمشق الفيحاء.

فقد أخبر أنه بعد تركه الوظيفة التي تولاّها في تلك العاصمة بعد انتقال سنده العظيم رفعت بك الأيوبي ووفاته في حلب، والذي فقد برحيله ـ كما ذكر ـ «سندًا شفيقًا، رفع من قيمته في أرض غربته»[3] اشتغل بالتعليم الحرفي المرحلة الابتدائية بدمشق بعد سنة (1337/ 1918) في مدرسة الناشئة العربية، كما اشتغل عقب تخرجه من دار العلوم بمصر بالتعليم مدرسًا وأستاذًا لطائفة من الطلاب من أبناء الوجهاء السعوديين، بتكليف من صديقه ولي الدين آل أسعد، أحد خريجي دار العلوم[4].

---

(1) كأنك معي في طرابلس. وتونس: 33، رمضان السويحلي: 331.

(2) م. ن: 33، م. ن: 331.

(3) كأنك معي في طرابلس. وتونس: 30، رمضان السويحلي: 327.

(4) تخرج من الدار المذكورة سنة (1353/ 1934) وعين مشرفًا على البعثة السعودية، راجع تقويم دار العلوم، ص 489.

ويستخلص مما تقدم أن الأستاذ محمد بن مسعود بدأ انخراطه في سلك التعليم منذ سبعين سنة قبل تاريخ وفاته، وأنه بدأها في الشرق في سوريا ومصر، ثم مضى في هذا المجال الحيوي بعد عودته النهائية إلى بلاده سنة (1358/ 1939) حينما تولّى التدريس في المدرسة الإسلامية العليا مع ثلّة من الجيل الرائد الذي قام بالتعليم فيها من أمثال الشيخ محمد بن عبد السلام المصراتي، وعلي الساعاتي، ومصطفى القلالي، وقد ذكر الأستاذ هؤلاء الفضلاء وأثنى عليهم[1].

وهنا لا بدَّ من وقفة نبين بها ما نعنيه بالجرح الآخر الخارجي الذي طالما تألم منه الأستاذ محمد بن مسعود؛ وانعكس على سلوكه وبعض آثاره.

لقد تمثّل هذا الجرح الذي عانى منه صابرًا محتسبًا مما قاساه من البنية الاجتماعية العصبية التي اَصطدم بها منذ عودته متفوقًا في دراسته، لقد سيطرت على هذه البنية الأهواء، وهيمن عليها الفراغ والجهل، وتقومت فيما تقومت به بالتكتلات القبلية والعشائرية، أو بالفوقية النخبوية المتمثلة في بعض الأسر والعوائل النافذة، وهذه البنية لا تنظر إلى الإنسان من خلال كينونته وعلمه وفضله، قدر ما كانت تنظر إليه بانتمائه الطبقي وتصنفه بارتباطه الخارجي، وهي إلى ذلك كلّه تقيم لألوان الناس وأشكالهم وزنًا في التقدير والتقديم، وإذا كنا نحمد الله على أن العلم قد هذَّب الطباع، وسما بالأذواق، وأن الدين قد هذَّب الذين كانوا يملأون ماضغيهم بالعصبية المقيتة والجاهلية المنتنة فاسمحوا لي أَيها الأفاضل أن أقول إن هذه البنية التي اَصطدم بها هذا المثقف قد كلفته ـ كما كان يلوح من أحاديثه وأسماره وكتاباته في بعض الأَحيان ـ عنتًا ورهقًا شديدين، فكثيرًا ما مسَّه الإيذاء، وحاق به الجحود، وكثيرًا ما اشتغل هذا الرجل المتعلم مكرهًا تحت أمرة أناس وصلوا تحت مظلة تلك البنية ـ إلى مناصب عالية كالوزارة والنظارة والوكالة وغيرها من المنازل بالرغم من جهلهم الفاضح بل وأحيانًا أميتهم التي لا تفرق بين الكوع والبوع.

وكم أجهد الأستاذ نفسه في محاولات كثيرة شفهية وكتابية لإِقناع الكثير من العوام وبعض الخواص من أنصار تلك البنية بأن البياض والسواد، والصفرة

(1) رمضان السويحلي: 333، 334.

والحمرة في ألوان البشر عوارض خارجية، معدودة في القرآن آية من آيات الله وهي باعتبارها مظاهر وهبية لا كسبية لا يمكنها وحدها أن تقدم إنسانًا على إنسان، أو فريقًا على فريق بقدر ما تقدمه تقواه ومواهبه وقدراته الخاصة.

وأنت إذا قرأت ما كتبه ـ رحمه الله ـ عن العنصر الأسود ضمن كتابه كأنك معي في طرابلس وتونس ـ وهو نتاج انفعال من انفعالاته؛ فسوف تقرأ أيضًا تناسق فيه المعنى والمبنى لتصوير ما كان يشكو منه ويألم، وما أروع قول الرسول ﷺ في جوامع كلمه حينما لفت الناس إلى حقيقتهم الماثلة في وحدة المنشأ والمآل «**كلكم لآدم وآدم من تراب**»[1].

فقد كاد له حاسدوه المتعصبون ضده كيدًا متواليًا منذ عودته وإلى أخريات عهده في الوظيفة، بدأوا بذلك مدة غيابه في مصر التي عاد إليها بعد رجوعه إلى الوطن لإحضار ما تبقى من كتبه وأشيائه فيها، وروجوا الأراجيف ضده فعزل من المدرسة الإسلامية بتدبير خفي كما قرّر، وعندما انقشعت تلك السحب وطالب الفضلاء برجوعه وإعادته إلى التدريس في هذه المدرسة، ونجحوا في مساعيهم لدى إدارة الأوقاف والحكومة القائمة، عاد هؤلاء المتعصبون من جديد إلى التشكيك في كفاءته، وعمدوا إلى اتخاذ أساليب كيدية تحداها المترجم، وأثبت من خلال مقاومته لها مقدرته العلمية والنجاح في تدريس العلوم المختلفة في المدرسة المذكورة؛ فهدأت بهذا التحدي عجاجتهم إلى حين، وظلّ منذ سنة (1358/ 1939) يؤدي رسالته العلمية والتربوية في إعداد جيل البلاد ومثقفيها لمواجهة سياسة التجهيل الفاشستية التي عمدت خلال ذلك الطور إلى الاستلاب الفكري، وإلى طمس معالم الشخصية الإسلامية، كما مضى مع لداته في توسيع دائرة المتعلمين والمثقفين في ليبيا التي كانت تئن من وطأة الاستعمار الإيطالي البغيض، مستمرًا في ذلك إلى سنة (1364/ 1944) التي عُيّن فيها مديرًا لمدارس مصراته العربية، حيثُ جوبه من البنية العصبية من جديد بحملة أراجيف أوقف على إثرها من العمل، إلى أن بينت التحقيقات الدقيقة زيفها وتهافتها، وأكّدت صدقه ونزاهته. فترك موطنه الأصلي تركًا نهائيًا، واستقر في طرابلس التي توهّج فيها إشعاعه ونشاطه.

---

(1) في الترمذي مناقب: 73 وأبي داود، أدب: 111 «والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب».

وما من ريب في أنه كان يستظل من ذلك الهجير اللافح الذي لقيه من تلك البنية في طرابلس وفي مصراته ـ بأفياء واحات الفضلاء، التي كان يستنشي بنسائم ودّها الخالص، ما امتلأ به وطابه وأزهر روضه، وفاض حوضه، فقد كان كثير الثناء على الأساتذة الأَحباء، وأهل العلم الأصفياء، والكبراء الذين يكبرون الفضل لذاته، ويحمدون العلم والأدب والعصامية مجردين من كل بريق خداع. فقد أثنى على طلاب المدرسة الإسلامية العليا كما أثنى على آبائهم الذين بذلوا جهودهم المكثفة ـ أثناء غيابه في مصر ـ لمطالبة الحكومة باستدعائه، ولتمكينه من التدريس فيها قال رحمه الله متحدثًا عن نفسه «وإلى هؤلاء يرجع الفضل الأول في إخلاصه بخدمة التعليم في وطنه»[1].

كما أشاد في العديد من المواقف بالفضلاء من إخوانه الليبيين ممن اتسعت مداركهم وصفت نفوسهم فأرجع إليهم ما انتهى إليه من نجاح قال في كتابه كأنك معي و«لولا اعتزازي بالله وحده وبمواطني الطرابلسيين كلّهم من بعده لما أخرجت ما أخرجت من مؤلفات، هي مع قلّة شأنها، أسهرت ليلي وأشغلت تفكيري، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾»[2].

وقد جاء هذا الكلام في معرض يتصل بما نحن بصدده من مدح النخبة التي تقدِّر الإنسان لذاته وكينونته لا لونه أو جنسه أو انتمائه العشائري، حيث صوّر شهامة المولى محمد الأمين ملك تونس الذي استقبل الوفد التعليمي الليبي (1369/ 1949) وفيه الأستاذ محمد بن مسعود الذي خصه ذلك الملك بمزيد الرعاية والالتفات؛ فذكر ذلك الثناء على إخوانه الذين نوّهوا به تنويهًا بلغ إلى ملك تونس محمد الأمين.

وحقيق بالتسجيل في مسرد حياته وتفاعله مع الحياة الثقافية في بلاده ليبيا أن نومئ إلى ارتباطه الوثيق بطائفة من مثقفي المجتمع الطرابلسي وأدبائه وفضلائه، وبالندوات والمجالس والأسمار الهادفة التي كانت تعقد في ربوع المدينة القديمة، نذكر من ذلك الندوة التي كان يشرف عليها أحدُ مثقفي

---

(1) كأنك معي في طرابلس. وتونس: 34، رمضان السويحلي: 333.

(2) سورة الزلزلة، الآيتان: 7، 8.

طرابلس وقضاتها، وذوي المكانة فيها الأستاذ محمد الفقيه حسن[1]، والثانية التي كان يديرها أحد أدباء طرابلس الشباب في تلك المرحلة الأستاذ حسونة جبارة[2]، والأخرى التي كان يشرف على مجرياتها الأديب أَحمد راغب الحصائري[3]، فقد ارتبط الأستاذُ بانصباء متفاوتة بتلك المجالس، وبخاصة المجلس الأول الذي سماه «المجتمع الحسني» والذي وصفه بقوله: «وكان مكتبه في هذا الفندق[4] زاخرًا بوفود العلماء والأدباء والأعيان من الضّحى إلى الظهر، ثم من قبيل العصر إلى المغرب، وكنت لا تسمع من مساجلاتهم فيه غير بحوث علمية هامة، وحوادث تاريخية محلية نادرة، ونوادر أدبية من رواياتهم أو مقروءاتهم فذّة، وكان السيد محمد بك الفقيه حسن هو عميد المتساجلين علمًا وفضلاً وغزارة إطلاع»[5].

كما أَلمع إلى المنتدى الثاني الذي كان يرتاده بعد عودته من الشرق بقوله يصف أجواءه «وكان المجتمع الثاني في فندق يقع أمام الجامع الذي ذكرناه[6]

---

(1) هو السيد محمد بن أحمد الفقيه حسن، أحد مثقفي ليبيا في أواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن، ولد في مدينة طرابلس سنة (1284) وتوفي بها عام (1360/ 1941) شغل منصب باشكاتب ولاية طرابلس، وعين مستشاراً لمحكمة الإستئناف، وعضواً في مجلس الثمانية، وعرف بمواقفه الوطنية وتمسكه في حل أحواله بالحق والعدل والاستقامة، راجع ما كتبه عنه الشيخ الطاهر الزاوي في كتابه «أعلام ليبيا».

(2) الشيخ حسونة جبارة أديب وخطيب، اشتغل بالتدريس وبالتجارة وهو من فضلاء مدينة طرابلس وشيوخها، تخرّج من الأزهر الشريف، وأدى دوراً سرياً في تحرير كل من تونس والجزائر وخدمة قضيتيهما ومناضليهما، وكان من رواد مجالسة محمد كامل الهمالي والسيد الشريف وعبد الحفيظ بوشعالة وغيرهم... راجع ما كتبته عنه مجلة الهلال الأحمر بطرابلس.

(3) أحد أدباء طرابلس الغرب ومثقفيها وظرفائها معروف بحفظ الأشعار والآثار والميل إلى الفن وأدب المجالس، ولد ـ حسبما افادنا نفسه ـ في مدينة طرابلس سنة (1326/ 1908) وأصله من قبيلة البرهانية (العثمانية) ومعدود من الاشراف، وتلقى علومه في كتّاب «حورية» وفي «مكتب العرفان» وفي مصر التي بقي فيها ثلاث سنوات، ثم تقلد الوظائف الادارية المختلفة، وارتقى فيها إلى أن بلغ الوزارة، وقد أشرف على ندوة في فندق «الطوبجية» وفندق «الخوجة» ثم في بيته مدّة طويلة منذ سنة (1945) إلى مرض وفاته عام (1997) كان يغشاها ثلة من العلماء والادباء في طرابلس.

(4) يقع هذا الفندق مصاقبًا جامع الناقة في المدينة القديمة.

(5) كأنك معي في طرابلس. وتونس: 150.

(6) م.ن: 150 والأستاذ يشير هنا إلى مجلس الشيخ حسونة جبارة ـ رحمه الله ـ.

في أول شارع عمرو بن العاص، وأغلب انعقاده كان مساء بعيد صلاة العشاء، وعميده شاب من وجهاء المدينة وأدبائها وكان أيضًا من أليق المجتمعات الثقافية الليلية، ويسود فيه عنصر الشباب الأديب عن الكهول والشيوخ»[1].

كما أشار بعد ذلك إلى مجلس آخر في الفنيدقة بالمدينة القديمة كان يرتاده الشباب المثقف في العهدين الإيطالي والبريطاني، يتطارحون فيه الأفكار والآراء، ويستمعون في بعض الأوقات إلى الموسيقى الجميلة[2].

وعلى الرغم من التماع وميض الحركة السياسية والحزبية الوطنية، واشتدادها في عهد الإدارة البريطانية، فقد آثر الأستاذ محمد بن مسعود في تفاعله بمظاهر الحياة الثقافية والفكرية في ليبيا عهدئذ عدم السباحة في لجها العاتي، أو السير في عثيرها الكاسح، وإنحاز مع تعاطفه مع المخلصين في هذه الحركة ـ إلى النضال الموافق لإمكانياته ومواهبه، أعني النضال في حقل التعليم والتدريس، وما يتصل بهما من مجالات ومحاور.

وفي الحق أنه لم يبخل في تلك الظروف بجهده في إلقاء المحاضرات في النادي الأدبي الذي كان يرأسه صديقه الأديب الشاعر أحمد الفقيه حسن، والاسهام في الندوات والمناسبات المختلفة التي برّز بها هذا النادي في الأربعينيات، كما أن قلمه لم يفتر بعد هذه الفترة عن كتابة المقالات التاريخية والاجتماعية والثقافية في الصحافة المحلية.

إن إيثاره لهذا النضال الهادئ الذي أحبّه صرفه ـ كما أسلفنا ـ عن المعترك السياسي الحامي، ودفعه إلى التوجه الواثق إلى غاياته في التعليم الذي أكّد وجوده فيه من خلال ثلاثة محاور متصلة متواشجة:

أ ـ محور التدريس والرقي في سلمه المعهود.

ب ـ محور التأليف والتحرير، وكتابة الكتب المنهجية المقررة.

جـ ـ محور المشاركة في بعض المؤتمرات والملتقيات التربوية.

أ ـ المحور الأول:

لقد أشرنا من قبل إلى هذا المحور، وإلى بلوغه فيه حد التبريز بما أمضاه

---

(1) كأنك معي في طرابلس. وتونس: 150.

(2) الإشارة هنا إلى مجلس الأديب المثقف الأستاذ أحمد راغب الحصائري.

من كثرة السنوات في مجاله، فقد بدأ بمكابدته في الشام قبل سبعين سنة من وفاته، ثم مارسه في مصر مع البعثة السعودية، وقد رأينا بعد ذلك كيف بدأ التدريس في المدرسة الإسلامية العليا بطرابلس وفي إعداد المعلمين بمصراته، وكيف تولى في الفترة الواقعة بين سنتي (1946 ـ 1948) التدريس في مدرسة طرابلس الثانوية مع ثلة من المثقفين من أمثال الأديب الشيخ الهادي عرفة ومحمد الأمين الحافي ومحمود البشتي والمهدي الحجاجي، ومحمود فرحات وعمورة (عمر) الباروني وفؤاد الكعبازي وناصر الدين الأسد. وصالح السنوسي فطيس ثم كيف استمر في أداء هذا الدور التربوي، بل في النضال المضني في أروع حقول التأثير الفعلي في الحياة العامة، فرقي مفتشًا، ثم جُعل مديرًا للتعليم الحر في ليبيا، والذي كانت تتبعه إبان العهد السابق الجوالي الأوربية المختلفة، ومن أكبرها في العدِّ الجالية الإيطالية، وقد قُدرت أعداد طلاب هذا التعليم الحر في عهده باثني عشر ألف تلميذ وتلميذة فأخضعها الأستاذ جميعًا ـ كما قال: «بصلابة عوده لتنفيذ القانون الخاص بالتعليم الحر، ومن أهم شروطه تدريسها اللغة العربية، وتاريخ وجغرافية البلاد»[1].

ونظرًا لما أبداه من إنجاح التعليم الحر، أسندت إليه المديرية العامة لمحو الأمية فارتقى بها؛ ثم كلف من جديد بمهام المفتش العام للعلوم الاجتماعية، وهي آخر المهام التي قدر لجيلنا أن يشهد فيها حزمه وصرامته، ونصحه الذي أشرنا إليه في بداية الكلمة.

ومن العجب الذي لا ينقضي ألا يصل الأستاذ محمد بن مسعود إلى منصب نظارة المعارف أو وزارتها أو غيرها من المناصب المتقدمة في العهد السابق التي وصلها من لا يقعقع له بالشنان وذلك أثر من آثار العصبية.

ومهما يكن من شيء فإن من نافلة القول أن نذكر أو نذكر بأن نضاله الطويل في هذا الحقل قد أثمر ثماره المرجوة التي كان يجد فيها خير عزاء؛ فإن النابهين من المثقفين ومن الأدباء والعلماء من الأجيال المتعافية التي تولت الوزارات والأمانات، وأدارت المؤسسات الكبرى في الداخل والخارج وسيرت الجامعات، ونهضت بعبء التدريس فيها قد ساهم هذا الدرعمي ـ مباشرة أو بالواسطة ـ في شيء من تكوينها وانجاحها.

(1) رمضان السويحلي: 333.

المحور الثاني، محور التأليف:

وقد بذل الأستاذ في هذا المحور جهدًا جانبيًا مضاعفًا أراد من خلاله أن يجابه وضعًا تعليميًا كان محتاجًا إلى من يسد الفراغ القائم فيه بالتأليف.

لقد كان الكثيرون من رجال التعليم ـ لأسباب مختلفة ـ يقصرون جهودهم على مجرد التدريس، دون تحرير الكتب المنهجية، التي تلبي حاجة الدارسين للكتاب المدرسي، في الوقت الذي تتطلب فيه العملية التعليمية هذا الكتاب ـ ضرورة أن العملية المشار إليها تنبني على ثلاثة أطراف أساسية (الأستاذ والطالب، والكتاب) المتضمن المعلومات التي يتمحور حولها جهد المعلم والطالب.

لقد أحسَّ الأستاذ محمد بن مسعود هذا الفراغ، وعَدَّ من النقيصة والتقصير أن يُسد بتكليف غير الليبيين بالكتابة في تاريخ ليبيا وجغرافيتها، وما يتصل بمادة التربية الوطنية وبجَلب الكتب والمقررات في العلوم الاجتماعية من الأقطار الشقيقة. فشمر على ساعد الجدِّ، وعكف على ما كان بيده من كتب، أو ما كان في مكتبات البلاد كالأوقاف والمكتبة الحكومية، ودار المحفوظات التاريخية؛ وبذل الوسع ـ حسب الطاقة ـ في رأب هذا الصدع، وملء الفراغ الملموس، فكان مفتتح نضاله في هذا المحور كتابُه تاريخ ليبيا العام من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر؛ الذي منحته لجنة الفحص والاختيار الترتيب الأوَل، وأمرت بتداوله في المدارس في سنة (1366/ 1946) كما أنه ألفَّ في السنة نفسها كتابيه في اللغة العربية «قواعد النحو» و«تطبيق النحو» ثم توالت أعماله في فروع التأريخ والجغرافيا والتربية إلى أَن بلغت ما يقرب من العشرين كتابًا صغيرًا، نذكر منها في التاريخ: تاريخ ليبيا الحديثة وارتباطه بعرب المغرب والمشرق، تاريخ ليبيا الوسيط وأصول العالم العربي، تاريخ ليبيا القديم، مبادئ التاريخ، موجز تاريخ ليبيا الحديثة، وفي الجغرافية: جغرافية ليبيا وصلتها بالأرض وبلاد العرب، موجز جغرافية العالم العربي بأوضاعه الحيوية وخصائص بلدانه، إليك جغرافية ليبيا، مبادئ الجغرافية وفي التربية: أصول التربية الوطنية وقد كتب تحت هذا العنوان أكثر من ستة كتب.

وقد ألمحنا في بداية هذه الكلمة إلى أسلوب مؤلفها فيها، وكيف أنه كان يعمد إِلى العبارة العربية الواضحة، ويعمل على الاختصار والتركيز، ويبعد عن الحشو والتطويل، مراعيًا في ذلك مستويات التلاميذ وأعمارهم العقلية في كلِّ مرحلة.

وقارئ الأعمال المذكورة على كثرتها وتنوعها يلمس حرص الكاتب وتأكيده في مواضع متفرقة منها قصده من التأليف الذي أراد به مجرد بث الثقة في النفوس بأن رجال التعليم في ليبيا قادرون على العطاء بالمستوى الذي لا يقل عن عطاء غيرهم، وحماية عقول الناشئة من «الكتب المضلَّلة» وأنه لم يقصد بذلك «إنتهاز الفرص الكسبية»، ولا الإستئثار لنفسه بالتأليف في الاجتماعيات الليبية.

ويبدو أن نفرًا من الناس قد نفس عليه هذ الجهد، واعتقد أنه إنما توجه هذا التوجه الكتابي لما يدره التأليف المدرسي وغيره من العوائد المادية الكثيرة، وتجاهل بذلك البواعث الحقيقية عنده، كما تجاهل الجهد والمعاناة اللذين كان يبذلهما في المراجعة والكتابة والتحرير والتفكير، الأمر الذي حمله على الرد صراحة على مثل هذا الادعاء بقوله «ومن يحسب أن صناعة القلم أو التأليف، أَو الاتجار ببيع الكتب هي مصدر غنى، أو غير جالبةٍ لأصحابها الخسائر والمحن؛ فما عليه إلا أن يجرّب حظه في واحدة منها بما يقدر عليه»[1].

وهي عبارة جيدة تحمل في أَلفافها إيمان كاتبها بالرسالة التي كان يقوم بأدائها، والتحدي السافر للذين لا يعملون ويحزن نفوسهم أن يعمل الناس كما يقول الدكتور طه حسين.

المحور الأخير:

على الرغم من العزلة المضروبة على رجال التعليم في المشاركة في الملتقيات العلمية والمؤتمرات التربوية في العهد الملكي، فإن تاريخ المترجم يشير إلى مشاركته الفعالة في ثلاث منها، أثبتت من خلالها حضور بلاده في مجرياتها ومداولاتها، وساهم في مناقشاتها التربوية إسهاماً عرفته به تلك المحافل.

كانت أولى هذه المشاركات في المؤتمر الدولي لمحو الأمية، الذي دعت إليه منظمة اليونسكو الدولية، والذي عقد في الاسكندرية سنة 1965، وقد أسهم فيه بصفة رئيس وفد بلاده في المؤتمر، ويبدو أنه طرح فيه فكرة الطريقة الإيجابية الفعالة لمحو الأمية، والقضاء عليها، وذلك عن طريق عمل جميع المؤسسات الحكومية في الدول المنتشرة بها الأمية من دول العالم الثالث.

(1) كأنك معي في طرابلس. وتونس: (ع) 11.

وتتجلى ثاني مشاركاته في هذا المظهر بتمثيله بلاده في اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية في السنة المذكورة قال متحدثاً عن نفسه: «وبفضل موقفه أبطل تقرير الإلغاء لامتحان الدين في الشهادة الابتدائية»[1] وما من شك في أن الأستاذ بموقفه هذا قد أثبت ركيزة من الركائز الأصلية التي لا يمكن أن تسير العملية التربوية والعلمية الناجحة بدونها. كما انتدب بعد مضي شهرين من ذلك التمثيل الذي أبدى فيه موقفه بصفة استثنائية نظرًا لتقاعده الاختياري ليمثل ليبيا في الموسم الثالث للكتاب العربي الذي تم في مدينة الرباط، وقد استغل الأستاذ محمد بن مسعود مدة إقامته فيها فنشر في جريدة العلم التابعة لحزب الاستقلال ما عرف به ببلاده ليبيا، كما أنه ألقى محاضرة قيمة بجامعة محمد الخامس بالرباط، سارت هي الأخرى في مسير التعريف بليبيا.

(1) رمضان السويحلي: 338.



ب ـ تقريض بعض كتبه وتحليلها



تقريض بعض كتبه وتحليلها

حظيت مؤلفات مترجمنا إبان صدورها ببعض كلمات الإشادة والتنويه وبتقدير مؤلفها الذي استطاع أن يسهم في تلك الظروف بتوفير الكتاب المدرسي المنهجي، وبتسهيل تداوله بين أبناء ليبيا الذين كانوا يكابدون وقتذاك ظروفًا ماديَّة صعبة، ونجتزئ في هذا المقام من تلك الكلمات والتقريظات بهذين التقريظين اللذين وقفنا عليهما ضمن وثائقه الخاصة؛ الأول للسياسي البارز الزعيم بشير السعداوي[1] والآخر للكاتب المؤرخ أبي الربيع سليمان الباروني[2].

(1) ولد في سنة (1301/ 1884) بمدينة الخمس حيث حفظ القرآن، وتعلم في المدرسة الرشديه التي أبان فيها عن تفوقه ثم انتظم في سلك الوظيفة إلى أن صار قائمقام في ساحل الأحامد، وهاجر من وطنه ـ بعد معاهدة أوشي ـ إلى ديار الشام والاستانة والحجاز الذي عُيّن فيه قائمقاما وبعده هاجر إلى لبنان، وفي سنة (1337/ 1918) تفرغ لتحريك وتنشيط قضية وطنه ليبيا، وعاد في سنة (1339/ 1920) إليه حيث انتخب عضوًا في الحكومة الوطنية بطرابلس، إلى أن هاجر إلى مصر حيث التحم نشاطه السياسي بنشاط غيره من المواطنين المهاجرين، وبخاصة في اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية التي ترأسها في دمشق، وكان له إلى ذلك نشاط مشهور إلى أن توفي في 17 يناير سنة 1957. راجع ترجمته مفصلة في كتاب «ليبيا الحديثة» لمحمد فؤاد شكري.

(2) أبو الربيع سليمان الباروني من مواليد كاباو بالجبل الغربي سنة (1310/ 1892)، درس بالجبل الغربي ثم رحل إلى تونس حيث تلقى تعليمه في جامع الزيتونة، والتحق في سنة (1343/ 1924) بسلك القضاء الذي ترقى فيه إلى أن وصل درجة المستشار لمحكمة الاستئناف الشرعية وكان أحد أعضاء الحزب الوطني بطرابلس، ثم في حزب المؤتمر الوطني وعين عضوًا في لجنة الواحد والعشرين، وكانت وفاته سنة (1382/ 1962)م.





الزعيم بشير السعداوي



بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأستاذ الفاضل محمد بن مسعود ـ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد أدخل على قلبنا السرور مؤلفكم القيم [تاريخ ليبيا العام] وأنه لمجهود نعتز به ونفخر، ولا يسعنا إلا أن نهنئكم على توفيقكم هذا، وأن نشكر المولى سبحانه وتعالى الذي أتاح لهذا الوطن الكريم من أبنائه من أخذ على عاتقه تدوين تاريخه، وأملنا وطيد في أن يحذو حذوكم أبناؤنا الأعزاء من أهل الثقافة والعلم، فيسجلوا تاريخ الوطن للأجيال القادمة بمثل هذا الأسلوب الفذ والتنسيق البديع، وأنا لمنتظرون ظهور الجزء الثاني من هذا التاريخ القيم قريبًا بعون الله ـ بارك الله جهودكم، ونفع أبناءنا بعلمكم وفضلكم ودمتم موفقين، والسلام.

8 فبراير 1949

بشير السعداوي

161/2 بشعبة الوثائق والمخطوطات.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة العالم الفاضل الأستاذ محمد بن مسعود أمده الله بعونه ـ تحية وسلامًا.

أما بعد فقد مررت على مؤلفكم القيم فوجدته ـ على ما به من اختصار شديد وافيًا بالمرام، مؤديًا المقصود الذي ألف من أجله، متمنيًا أن تتداركوا في طبعة ثانية ما فاتكم في هذه، والمراجع موجودة والحمد لله؛ فامضوا مخلصين لله في خدمة العلم والتاريخ، بارك الله فيكم، وأمدنا وإياكم بتوفيقه، وأحسن جزاءكم على مجهودكم في سبيله، إنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والسلام عليكم ورحمة الله ـ كتبه في 20/ 12/ 1365هـ.

14/ 11/ 1946م

المخلص

أبو الربيع سليمان الباروني

161/ 12 بشعبة الوثائق والمخطوطات.



الأستاذ عمرو سعيد بغني رحمه الله



الفقيد الراحل، من خلال كتابه:
رمضان السويحلي
البطل الشهير بكفاحه للطليان(1)

الأستاذ عمرو سعيد بغني(*)

لا أريد في عجالة كهذه أن آتي على شيء من حياة أستاذي الفاضل محمد مسعود فشيكة، الذي وافاه الأجل، ونحن في مسيس الحاجة إلى عمله قبل شخصه، وإن يكن الأمر متلازمًا في ذلك. لقد عرفته منذ نهاية العقد الرابع من هذا القرن أيام الطلب الأولى، أولاً من خلال كتبه الرائدة في خدمة التربية والتعليم، أيام كانت صناعة العلم نادرة، فكان بحق أستاذ أجيال، بلغت تآليفه ما بلغت من السعة والوفرة والقيمة، وتدرجت من محاولات خدمة

(1) الكتاب من منشورات دار الفرجاني للنشر، طرابلس ـ ليبيا، 1394هـ ـ 1974م.

(*) الأستاذ عمرو سعيد بغني من الباحثين الجادين، اشتغل زمنًا في حقل التعليم والتربية، ثم التحق بمركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، فبرز بآثاره القلمية المتميزة بالدقة والأناة، ولد في مدينة جادو (1355/ 1936) وتلقى تعليمه بها، ثم درس في معهد المعلمين الذي تخرج منه في سنة (1375/ 1955) واشتغل بعد ذلك بالتعليم في مناطق كثيرة في البلاد، وقد تحصل في سنة (1398/ 1977) على درجة الليسانس من قسم التاريخ بجامعة طرابلس، وهو يعد الآن للحصول على درجة الماجستير بموضوع «حركة جهاد الليبيين في القطاع الغربي في ليبيا سنة 1919 إلى 1921) وقد انتظم في مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سنة (1398/ 1977) حيث عرف بمشاركاته العلمية المتعددة في المتلتقيات والندوات والقاء المحاضرات وكتابة البحوث الجادة في الدوريات التاريخية، وله عدد من التآليف المخطوطة، والكتب بالاشتراك مثل «معركة تاقرفت» «بحوث ودراسات في التاريخ الليبي» راجع كتاب «أبحاث في تاريخ ليبيا المعاصر»، توفي رحمه الله في 13 ـ 2 ـ 1992. راجع كتاب «دمعة وفاء، كلمات وقصائد في تأبين فقيد البحث العلمي الأستاذ عمرو سعيد بغني.

الجانب المدرسي التعليمي إلى الكتابات الأكاديمية المتميزة، وعرفته من خلال ريادته التوجيهية، أيام كان مع زملائه من أوائل من ارتادوا حلبة التوجيه التربوي البلاد طولاً وعرضًا لأداء مهمة التفتيش - كما عرفت آنذاك - في أواخر الخمسينات والستينات، وخلال ذلك لم يكن الرجل مفتشًا بقدر ما كان موجهًا ومرشدًا، ومن خلال وقفاته في رحلاته الطويلة، كنا كثيرًا ما جلسنا إليه في ندوات كان يبدو فيها - على عفويته المحببة - متألقًا وهو يروي أطرافًا من تلك الحياة المثيرة في معاناتها ودأبها وكفاحها، وهكذا عرفنا الرجل كواحد من أبرز أساتذة جيلنا، وقد قُدر لنا أن نفخر به معلمًا رائدًا معطاءً بلا حدود.

وقد جاء كتابه نتاج مرحلة متأخرة من ذلك العطاء، حاول أن يسدَّ به فراغًا في مكتبتنا التاريخية، فكان عملاً يتمثل فيه الجهد، وأثرًا من ملامح الجيل الرائد المعاند. على أننا في هذه العجالة - وعلى الرغم من مناسبة بإحياء ذكرى المعلم العطرة - سنسلك نوعًا من درس النص التاريخي؛ بحيث يمكن أن نضع بعض النقاط الموجزة المشيرة إلى نواحٍ في جانبي هذا النص الإيجابية والسلبية، على اعتبار أن كل عمل ذي قيمة، يحتوي بالضرورة أمثال هذه النقاط، ولهذا آمل أن ينظر إلى هذه الكلمة المهداة إلى روح أستاذي الفاضل رحمه الله من هذا الجانب، ومن هذا المنطلق الذي يحيِّي فيه روح العلم، وعنفوان الأمل، وسماحة المعلم الأمثل، الذي عرف كيف يجد طريقه إلى ساحةٍ ما أصعب وما أشق الدروب إليها.

جاء الكتاب في 349 صفحة من القطع المتوسط مقسمًا إلى ثماني وثلاثين فصلاً، غطت المرحلة التي ساهم من خلالها المترجم له (رمضان السويحلي) في حركة جهاد الليبيين، وتجاوز بها بدءًا ونهاية إلى مراحل أخرى سابقة ولاحقة، ويبدو أنه فقيدنا كان استفاد من قراءاته المتعددة ومن مؤلفاته السابقة التي حولته عن مجاله التخصصي إلى مجال التأليف التاريخي وفاءً بحاجة البلد وهو يمر بمرحلة قاسية بدءًا بإنهائه مرحلة الطلب في دار العلوم بمصر، وتحوله عن التعليم بالمدارس المصرية إلى التعليم في المدرسة الإسلامية العليا في طرابلس، فكان أحد رواد منهجها غير المكتوب، وخدمة الأهداف غير المعلنة، ولكنها الحيَّة في ضمير كل رجل منهم، فكان وجودها نعمةً لا نقمة كما خطط

لها مفكرو الحملة اللاإيطالية الغاشمة[1]، ولخبرة الرجل بالناس وأحوالهم، وعشرته واختلاطه بكثير من رجالات الوطن في ديار الهجرة أولاً، وبعد رجوعه ثانيًا، فإنه استخدم إلى جانب المصادر المكتوبة الرواية الشفهية، ولعله كان أبرز روادها، لأنها كانت تفرض نفسها، في وقت احتيج فيه إلى الوثيقة المكتوبة، وإلى ما يحتفظ به المجاهدون، وبخاصة قياديوهم من وريقات عدا الزمان على معظمها، وكان استخدامه مثل كثير غيره من مؤرخينا الرواد للرواية وسوف نعرض لبعض من جوانب هذه الطريقة، وعلى أية حال يبقى المجال خصبًا للحديث عن إنجازات فقيدنا في كتابه هذا، وفكرة الكتاب تستدعي في ذاتها قبل كل شيء ضرورة الإشادة به شكلاً وموضوعًا، إلا أنَّ العمل ـ وطبقًا لخطتنا في هذه الورقة ـ وهو ماثل بين أيدينا يستدعي استحضار مادته وتفحصها بصورة أوَّلية، فيما يمكن أن يدعي الرؤية الموضوعية التي تحتفل بالكتاب وكاتبه، ولكنها أيضًا لا تستهين بجانبي العمل السلبية والإيجابية، على اعتبار صبغته البشرية، وفرضية الاعتراف بقصورنا على العموم، وتعرضنا للخطأ والصواب، وعلى اعتبار أن هذه الرؤية ضرورة حتمية، قد تسهم في إثراء مادته، وقد تقدم جدوى لعمل قيم، لا تنال من قيمته أية كلمات، بل تعتبر في مجملها إشادةً بأثر علمي رائد في مجاله، كمرجع يقتحم ميدان المصدرية من بابه الواسع، فلا يكاد يستغني عن الرجوع إليه باحث يحترم ذاته، ويقدس (الإفادة التاريخية) وقد وجدنا من هذا القبيل لزوم الإشارة إلى عدد من النقاط نتمنى أن توضع تحت نظر القارئ ولمن يُعنى بتقييم المادة التاريخية مستقبلاً، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: ـ

أن أستاذنا كان يتمتع بصفة لعلها الغالبة على طبعه، تبدو جلية في كتاباته ألا وهي الصراحة، بحيث غلبت على بعض أحكامه إلى درجةٍ وجَّهتها بصورة متطرفة؛ من ذلك مثلاً، إيراده لعدد من تفاصيل الأحداث المتأتية في مجملها عن إشاعات، يحاول عن طريق إثارتها الغوص في عمق دوافع الثأر لدى

(1) طبقًا لتحقيقاتنا حول المدرسة الإسلامية العليا التي ظهرت بطرابلس في (13/ 5/ 1935)، وطغيان الفاشية على أشده في ليبيا، كانت ثلة من معلميها ـ كجنود مجهولين ـ تبذل ما في وسعها من أجل العقيدة الإسلامية، وخدمة العربية، وكان ذلك من وراء علم السلطات التعليمية الإيطالية.

رمضان السويحلي وأخيه أحمد السويحلي، وهي تفاصيل بمعايير المنهجية الموضوعية لا لزوم لها، مع الحاجة الملحة إلى توفر السببيات من قرائن ووثائق شفهية وتحريرية، الأمر الذي يثير حساسيات لا لزوم لإثارتها الآن على الأقل، ذلك على الرغم من براءة دوافع المؤلف الرامية إلى معالجة ما ينتمي إلى هذا النوع من الحساسيات بصراحته المعهودة.

في دراسة سابقة حاولنا تحديد دلالة بعض المصطلحات الوثائقية فأطلقنا كلمة (الإفادة) على نوع من المعارف الإنسانية لا يبلغ درجة الوثوق على اعتبار مصدرها البشري وقصرنا كلمة (الوثيقة) على النص الأكمل ألا وهو (القرآن الكريم) وما تواتر من نصوص السنة المحمدية الشريفة، لمزيد التفصيل أنظر: مجلة الوثائق والمخطوطات، من منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، عدد 4.

من أحكام أستاذنا تلك التي يمكن إرجاعها إلى هذه الصراحة ونشدان الحقيقة؛ ما رواه عن مقتل رجال القافلة التي أرسلت في أواخر سنة 1917 نجدةً وعونًا من قبل نوري باشا على عهد ولاية الباروني، وقد أُرسلت من مصراته إلى أحمد الشريف في سرت، وردّه دفع بعض المؤرخين (وربما يقصد أستاذنا بردّه الشيخ الطاهر الزاوي) الذي جاء فيه أن قائد شرطة رمضان في مصراته (محمد الحداد) كان قد تعقَّب رجال القافلة المحملة نقودًا وتموينًا وأسلحة، وقتلهم، وأن تصرف الحداد كان دون الرجوع إلى رمضان، فكان رد فقيدنا أنه ((ما كان له أن يتعرض للقافلة بسوء لولا استئذانه رمضان وبإجازته إياه بالعمل إلخ))[1]، والقصة على هذا وغيره معروفة متواترة وبها شهادات وبإفادات متعددة بحيث لا خلاف الآن حول إثبات مسؤولية ما حدث لرمضان.

ومن ذلك كانت همسته لبعض مؤرخينا الذين وصفهم بالمتحيزين حين نسبوا فكرة الجمهورية الطرابلسية لغير أهلها، فقال: ((وفكرة جعل مجلس الإدارة من أربعة أعضاء لا نستبعد اقتباسها من كيفية نشوء الثورة الفرنسية التي لم يكن تاريخها مجهولاً لدى مثقفي أبناء طرابلس في معاهد الترك المدنية والعسكرية، لا أنَّها معزوَّةٌ لشخصية سياسية غير طرابلسية، كما جاء في بعض

(1) محمد مسعود فشيكة، مصدر سابق 128.

التواريخ المتميزة))[1]. ولا ريب أن الإشارة كانت موجهة إلى شخصية عبد الرحمٰن عزام إذ هي الشخصية التي نسبت لها الفكرة، وقد تبيَّن لنا بوضوح أن عزامًا لم يكن إطلاقًا ممن آمنوا بالعمل للجمهورية، وأنه طبقًا لمذكراته ولمجريات حياته لصيقًا ببعض قادة حركة جهاد الليبيين منذ مقدمه سنة 1916، وحتى مغادرته البلاد سنة 1922، لم يكن سوى مجرد داعية نشط لنظام الإمارة، وأنه بذل جهودًا واضحة في سبيل هذا الاتجاه[2]. وقد يرى القارئ معنا أن ما أوردناه من خلال النقطتين الأخيرتين يمثل اتجاهًا إيجابيًا لصياغة تاريخ الأحداث كما هي، وبإيرادها بموضوعية وتجرد يحمدان له.

وردت خلال الكتاب بعض الأخطاء التاريخية من مثل ما جاء في صفحة 199 من أن تاريخ أحد إعلانات الجمهورية كان يوم 13 من شهر رمضان 1333هـ، وهذا التاريخ يوافق 22 من شهر يوليه 1915، بينما تاريخ إعلان الجمهورية الصحيح، ويتبع ذلك إعلان بلاغاتها هو ما جاء في صفحة 201 من الكتاب نفسه، وهذا التاريخ موافق ليوم 16 من شهر نوفمبر 1918.

أشرنا في مقدم هذه الوريقة إلى أن أستاذنا مثله في ذلك مثل كثيرين غيره استفادوا من الرواية الشفهية، ولكنهم في الغالب الأعم مع توفر العلم لدى غالبيتهم بشروط استخدام الرواية من خلال دراساتهم في المدارس الدينية والمعاهد المتقدمة، سواءً في ليبيا أو تونس أو مصر أو غيرها على عهدهم، جاء استخدامهم قاصرًا في أحيان وجوانب كثيرة، من مثل توجههم نحو شخصيات محدَّدة وجهات معينة، بحيث تبيَّن أن جلَّ الروايات المستخدمة لدى أستاذنا رحمه الله لم تخرج عن النطاق الساحلي الليبي فجاءت قاصرة عن رؤية المناطق الأخرى ومنها ورفلة وترهونة مثلاً في دواخل البلاد، وفيها جانب هام وضروري من جوانب بعض القضايا التي أثارها الكتاب. أنه في قضية لها خطرها في تاريخ حركة جهاد الليبيين المعاصرة؛ ألا وهي (الفتنة ودواعيها) يقسو في الحكم على عبد النبي بلخير، الأمر الذي تبيَّن معه أن هذا الحكم يأتي على حساب هذا الأخير، من ذلك قوله عنه «إنه في سره كان يميل إلى

---

(1) المصدر نفسه، صفحة 195.

(2) انظر دراستنا تحت عنوان (قراءة جديدة في ذكريات عزام)، مجلة الشهيد، العدد الخامس، 1984، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص 277.

إيطاليا، وساعيًا للتفاهم معها»، وقوله: ـ «إنه مع لفيف من الزعماء كان على هذا الرأي، غير أنه كان موغلاً أكثر منهم في هذا الاتجاه»، وعلى هذا نختلف مع هذا الرأي المتأتي عن استقراء طرف من أطراف القضية ونضطر إلى القول بأن مواقف الرجلين من جهاد الليبيين كانت متشابهة إلى حد بعيد؛ فحين يركن رمضان سنة 1912 إلى جانب السلم إثر معاهدة (أوشي) مباشرة، يتخلف عبد النبي حتى مارس 1913، بل ويدعم موقف المجاهدين بقيادة سليمان الباروني في معركة جندوبة 23 مارس 1913، ويستخدم الإيطاليون عبد النبي في حملتهم على فزّان، وكان إسهامًا منه لا مبرر له بالطبع، وحين يسيران للإسهام في جيش الإيطاليين لاعتراض المجاهدين بالقرضابية، فإنهما يسيران رفيقي درب واحد إليهما، وتشير الشواهد الآن إلى أنهما كانا على علم بخُطة الانقلاب ضد الإيطاليين، أما في مسألة الفتنة فإن موقف عبد النبي لم يَكن بأسوأ من موقف رمضان منها، بعد إذ حيكت خيوط مؤامرة كبرى كانت أكبر منهما، بحيث وَضَعَتْ كلاً منهما في مواجهة أخيه، وتلك كانت إحدى المآسي الكبيرة في مسيرة جهاد الليبيين المعاصرة. كما أن عبد النبي لم يكن أسوأ من محمد فرحات الزاوي، أو ممَّن ضمهم اللفيف الذي جمعهم بصفحة 231 من الكتاب الذي نحن بصدده، إذ أن الزاوي على سبيل المثال كان على رأس فريق الرضا بالوضع الجديد إثر تخلي الدولة العثمانية وعقدها معاهدة (أوشي) 18 من أكتوبر 1912، وأنه ظل متعاونًا مع الحكم الإيطالي منذئذ حتى سنة 1920، وأنه لم يتحول عن موقفه الممالئ للوجود الإيطالي حتى أواخر هذه السنة لدى انعقاد مؤتمر غريان في نوفمبر من نفس السنة.

وقبل انتهاء الفصل الثلاثين كان فقيدنا يعالج غزوة رمضان السويحلي لورفلّة ومقتله هناك، فيختتم فصله هذا بعبارات غلب عليها الانفعال من مثل قوله: ـ «أجل لقد قُتل الآخذ بثأر العذوات، والفارس الأصلب بالملمات، وبطل القرضابية الأوحد، ورجل الشهامة والإنسانية، والحاكم بالعدل، ولو على أقرب الناس إليه، والوطنيُ الأمثل، وعدو الطليان الأوَّل، قتل وكأن روحه، وهي تحلق صاعدة إلى ربها كانت تنشد بلسان حاله قول حافظ ابراهيم: ـ

لا تَلُم كفِّي إذا السيف نبا ... صحَّ منِّي العزم والدهر أبى

رُبَّ ساعٍ مبصرٍ في سعيه ... أخطأ التوفيق فيما طلبا»

وواضح أن القتيل يستحق أغلب هذه الصفات، لدوره الفردي والقيادي الذي لا ينكر في حركة جهاد الليبي المعاصر، والذي يجب أن يدرس ويُبرز فيخلد بين عظماء الرجال المجاهدين في عصرنا وفي كل عصر. ولكن على الرغم من ذلك تسجل بعض عبارات المؤلف التي غلبت عليها الحماسة من مثل قوله: ـ ((وبطل القرضابية الأوحد))، وأيضًا: ((وعدوُّ الطليان الأوّل))، لأن الرجل لم يكن بحقٍّ بطل القرضابية الأوحد، وإن عددًا كبيرًا ممَّن خاضوا تلك المعركة الخالدة كانوا يتصدون هذه البطولة قبله، ونحن نصدر في قولنا هذا عن قناعة، ورؤية ليست لها من غاية سوى قصد السبيل، ولربما كان فقيدنا يرمي بإثبات الملحق الشعري لحافظ أن يخفف من وقع تلك العبارات الوجدانية، أو لعل ما كان يقصده يمثلُ نوعًا من الاعتراف بأن رمضان (أخطأ التوفيق فيما طلبا)[1] وإذا كانت من إضافة إلى ملحوظاتنا التي استهدفت نوعًا من القراءة حاولت وضع نقاط على حروف من سفرٍ تاريخي نعتز به، كاعتزازنا الأساس بصاحبه، رائدًا من رواد الكلمة، مجاهدًا في ميدان العلم والتعليم، وقائدًا من قادة فكر هذا البلد، وعصاميًا يعتز به جميع العصاميين.

وإذا كانت من كلمة في المنهج، فقد كنا نتمنى أن ينهي فقيدنا الحديث عن رمضان عند هذا الموضع من نهاية الفصل الثلاثين، وأن يرجئَ معالجة الأحداث التالية عن غيره من الشخصيات الأخرى، كأخويه أحمد وسعدون، لتُفرَد لكل منهما دراسة مستقلة إن كان في حياتهما ما يحتمل ذلك، أو أن يتغير عنوان الكتاب ليستغرق ما أُلحق بشخصية رمضان، فيصبح عامًا وشاملاً لبطولات السويحليين، وهكذا تتطاول الفصول الثمانية الأخرى، لتشمل دراسة سيرتي أخيه أحمد حتى هجرته إلى مصر ثم إبراهيم بن رمضان حتى مقلته، ويُختتم الكتاب بملحق عن حياة المؤلف، حرره بقلمه، وكان أحرى بالآخرين من رفاق دربه، وهم في التعليم كُثر أن يتولوا هذا الجانب، وأن يقولوا ما كان عليهم قوله في شخصية هذا الرجل، وتأبى إلاَّ أن تتردَّد أمنيةٌ غالية علينا، أردنا أن نتحقق على يد الحاضر، ولكنها للأسف لن تتحقق بالتأكيد، كما كنا أردناها من خلال غائب نحيي ذكراه اليوم، وقد تتحقَّق من خلال الآخرين؛ أن يُبْذَل جهدٌ صادق جاد للكتابة سيرة رجل بذل حياته من أجل وطنٍ وأمةٍ، وأسهم مع

(1) فشيكة، مصدر سابق، 245.

غيره في بناء صرح نشهد معماره، وسيشهد غيرنا آثاره؛ لتحتوي الدراسة نشأَته، وظروف هجرته وأطوار معاناته، ومساهماته الملموسة أيام ظروف الطلب الأُولى، وفيما تلاها من بذل وتضحية، ولعل هذه المؤسسة (مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية)، وهي تحيي ذكرى أَحد أعمدة العمل التاريخي من جيل الرواد، تتبنَّى هذه الفكرة لتتواصل وتستمر مع أَمثال فقيدنا، ليشهد الوطن أَدوارًا لرجال ونساء مؤرخين، وفي شتى مجالات البناء، يفخرون أَن ولدوا وعاشوا فوق أَديم هذه الأرض التي عرفت أقدارهم، وأدركت أبعاد قضاياهم عقيدةً وحياةً في سبيل الله ومن أجل الآخرين.



الأستاذ أحمد عطية مدلل

حفل تأبين، الأستاذ
محمد مسعود فشيكة
بتاريخ 20/2/1991

كلمة الأستاذ أحمد مدلل(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة قصيرة متواضعة خطرت ببالي داخل هذه القاعة أَرَدتُ أن أدلي بها عرفانًا بفضل الفقيد الراحل.

أيها الأخوة الأوفياء يا مَنْ جئتم بأحساس صادق نبيل، لتأبين فقيدنا شيخ المؤرخين الليبيين الأستاذ محمد بن مسعود إنه حقًا أستاذٌ فاضل يستحق بجدارة هذا الحفل التأبيني، لنذكر للراحل، بعضًا من مآثره. يُعدُّ فقيدنا الراحل في تجربة كتاباته عن تاريخنا المعاصر مدرسة متميزة في، دقة المعلومة فهو من

(*) الأستاذ أحمد عطية مدلل، من الباحثين في حقل التاريخ المتميزين بالتحري والموضوعية، ولد في مدينة الحوامد (1361/ 1942) وتلقى تعليمة في المدارس الابتدائية بالحوامد ثم الاعدادية بكاباو ثم نال إجازة التدريس الخاصة سنة (1383/ 1963) واشتغل في سلك التعليم إلى سنة (1398/ 1977) ثم حاز شهادة الليسانس من قسم التاريخ (1394/ 1974) والتحق بعد ذلك بمركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية حيث ظهرت له العديد من النشاطات الثقافية بحضور الملتقيات والندوات والمساهمة بكتابة المقالات والبحوث والمحاضرات وفي سنة (1409/ 1988) تحصل على درجة الماجستير برسالة عنوانها «المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي» وتأثيرات الأوضاع الدولية عليه) ثم صدرت له العديد من الكتب منها كتاب القرضابية 1915، وكتاب الأنماط القتالية في حركة الجهاد الليبي 1911 ـ 1915. وله كتاب بالاشتراك ومنها الكتاب الأبيض بحوث ودراسات في الجهاد الليبي، وموسوعة معارك الجهاد الليبي. ويُعدُّ الآن رسالة لنيل دكتوراه الدولة في احدى الجامعات المغربية.

أوائل المؤلفين في مثل سنّه، قرأت له تلميذًا وطالبًا ومدرسًا وباحثًا في فترة تمتد ما ينيف، عن الأربعين عامًا كل ما جاد به قلمه من مؤلفات في تاريخ ليبيا قديمها وحديثها كمقررات دراسية في زمن لم ينهض، فيه غيره ليتحمل أعباء المسؤولية، إن أكثر ما شدَّني، إليه وهو - الآن - في عالم الغيب والشهادة نبل قلمه وصحوة ضميره الذي أبَى عليه إِلا أن يجتهد. بذكر الحقيقة بكل تجدد وموضوعية.

كم كنت والله أجلّه وأحترمه في السرِّ والعلانية حيًا وفقيدًا عندما قرأت له في واحد من أفضل مؤلفاته جملة وتفصيلاً قضية كانت تبدو لي جدّ معقدة حين تباينت فيها وجهات النظر واختلفت حولها الآراء قرأت كتاب كغيره من الكتب الأخرى، أما تناول هذه القضية وأن اختلفت فيها الآراء وتباينت حولها وجهات النظر طبقًا للمصادر التي اعتمد عليها كل مؤلف، لقد كان الرجل في معالجة قضية القرضابية من بين أكثر كتّاب عصره موضوعية إن لم يكن أفضلهم، لم أكن أعرف فحوى هذه المعركة المعقدة في لملمة أحداثها قبل أن يمن الله علي بقراءة وثائقها من مصادرها الأصلية التي اتفقت إلى حد كبير مع ما ذكره فقيدنا من كتابه الذي تناول فيه مجمل هذه القضية حينها غمرني، شعورٌ كبير بنبل خلقه وصدق قلمه ويمثل رواة آخرين كانوا قلة نادرة وقد انفردوا بخاصية مميزة وسط مئات الروايات التي جاءت متفاوتة في ذكر حقيقة هذه القضية ولا يسعني مع هذه الأسطر المتواضعة التي لا يمكن أن تفي بحقه إلا أن أترحم على روحه الطاهرة ولله العزة، وله المغفرة أولاً وأخيرًا.

والسلام عليكم.



الأستاذ نور الدين محمد مسعود فشيكة

كلمة أسرة الفقيد

الأستاذ: نور الدين محمد مسعود فشيكة*

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

الحمد لله الذي جعل الفناء نهاية كل حي وكائن. وقال عز من قائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ المنزل عليه في الكتاب المكنون ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

الآباء الكرام والأخوة الأفاضل العاملون بمركز الجهاد الليبي.

الآباء الكرام زملاء والدي الحبيب.

إخوتي الأبناء الروحيون تلاميذ والدي الحبيب.

الأخوة الحضور المشاركون لنا في هذه الأمسية الثقافية.

إنه لمن دواعي الغبطة أن ينزع الأحياء في عهدنا هذا المنزع الجميل ألا وهو الوفاء إلى الرواد الأوائل أبناء هذا الوطن الحبيب ممن حملوا مشعل العلم فيه وأناروا العقول والدروب أمام أبنائه وكانت هذه الأمسية دليلاً صادقًا على

(*) الأستاذ نور الدين محمد فشيكة ابن المترجم له ـ والمذكور في اللمحة أو الخلاصة العامة ـ ولد في مدينة طرابلس الغرب، وتلقى تعليمه العام والجامعي فيها، حيث تخرج بكلية الزراعة، مهندسًا زراعيًا.

الوفاء. وإني إذ أقف بينكم مؤبنًا والدي الكريم مسترجعًا امتثالاً لأمر الله فإنما أنا واحد منكم ربِّيتُ على يديه مثلكم وربما كانت رابطة العلم أقوى من رابطة النسب ورحمُه أقوى علاقة وأشد رابطه.

ولهذا فلن أتعرض في كلامي إلا لما يمس الجانب الأسري العاطفي الذي عشناهُ معه ولا أبالغ أو أكذب حين أقول: لقد كان هذا الوالد الحبيب واحة ظليلة وشجرة يانعة نتفيأ ظلالها وننهل من ينابيعها وننعم بمثارها ونسعد بحنوها وعطفها ولن يكون بديلاً من ذلك كله إلا ما يلهمنا الله من الصبر وما يعوضنا ويجزيه عنا من المثوبة والأجر.

رحم الله فقيدنا الحبيب وأسكنه فسيح جناته ورحم جميع المسلمين.

وفي النهاية لا أملك إلا الشكر والثناء لكل من أَحيا هذه الأمسية أو شارك فيها. جزى الله الجميع خير جزاء على ما فعلوا ولا أراهم مكروهًا في عزيز لديهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



بعض أفراد أسرته مع السيدة مريم الشركسي (رحمها الله)
وهي التي قامت بالترجمة لبعض مؤلفات الفقيد

اللمحة أو الخلاصة العامة عن حياته كما كتبها بقلمه(*)

تحقيق د. محمد مسعود جبران

قال ـ رحمه الله ـ مشيرًا إلى أصوله وأوليته، ومتحدثًا عن رحلته لتحصيل العلم في الشرق، وعن أساتذته وشيوخه الذين تركوا أثرهم في حياته، ذاكرًا أعماله وجهود وماله مائة بسيرته وعصاميته «من ذلك أن والد المؤلف[1] وآباءه أصلاً من قبائل (شوا) القاطنة على ضفاف بحيرة (تشاد) جنوبي ليبيا[2]، قد سافر أيضًا زمن الأتراك إلى جهات الرديف[3] عاملاً ثم متاجرًا وفي سنة 1909م عين في بلدته مصراته[4] ملاحظًا بمدرستها التركية أيام مديرها (الخوجة رضوان أفندي)[5] وكان ابنه المؤلف[6] وقتئذٍ طفلاً يتعلم القرآن في جامع سيدي

(*) أثبت هذه اللمحة في كتابه كأنك معي في طرابلس وتونس الصفحات من 29 إلى 34.

(1) في الملحق الخاص عن حياته في كتابه رمضان السويحلي: 323 أورد ما يلي: «وجاء والده أصلاً إلى مصراته وهو صبي، طلبًا للعلم عند الزروق، وبعد فترة من الوقت لتعسر الإنفاق عليه، التحق بأعمال فلاحية بالكراء، عند أحد الوجهاء، وأثناء هذه المدة تزوج بوالدة المؤلف مسعودة فرزق منها به، وبشقيقة له اسمها فاطمة».

(2) وهذا مما يؤكد الروابط والصلات بين البلدين في القديم والحديث؛ فهناك الكثير من الأسر الليبية اليوم أصولها من تشاد؛ كما أن أسرًا وقبائل متعددة في تشاد يرجع أصلها إلى ليبيا، وإلى غيرها من الأقطار الافريقية.

(3) أورد ذلك في معرض الحديث عن هجرة بعض الليبيين إلى تونس للعمل في وسطها وجنوبها بالفوسفات والفلاحة، والرديف منطقة في وسط البلاد التونسية من جهة الغرب قرب الحدود الجزائرية.

(4) مصراته مدينة ساحلية في شمال ليبيا، تقع شرق مدينة طرابلس وهي مدينة مهمة. راجع معجم البلدان الليبية ص 316.

(5) لم نعثر على ترجمة للخوجة رضوان، ولكن المؤلف في كتابه رمضان السويحلي: 324 ذكر أن هذه المدرسة أسست سنة 1909 بالمواطين وكانت بالدرادفة. =

التواتي[1] من قرية الشواهدة على الفقيه الشهير المرحوم الشيخ مصطفى التريكي[2]، فنقله أبوه من هذا الكتَّاب، وأدخله معه في المدرسة التركية تلميذًا بسنتها الأولى[3]، وفي أول ظهور الطريقة السعدية[4] بمصراته، وارتفاع شأنها بأفاضل الرجال، انتسب إليها والد المؤلف، وصار من كبراء إخوانها، ومن هؤلاء في ذاك الحين، المرحوم الحاج سالم بن شعيب أحد أعيان وأثرياء الشواهدة في زمانه[5]، وكان صديقًا حميمًا لوالد المؤلف، وجاره بيت بيت، ومن غرائب الاتفاق أن زوجة المؤلف الحاضرة هي حفيدة الحاج سالم بن شعيب[6]، وصديق والده من قبل، وفي سنة 1910م، ترك والد المؤلف وظيفته بالمدرسة لقلة مرتبها، ورجع لأعماله السابقة بالرديف[7] التي كان قد جرب ربحها، وظل من هنالك يرسل لعائلته بمصراته مستلزمات حياتها، وعلى أثر الاحتلال الإيطالي سنة 1911م. ذهب المؤلف مع الترك في بعثة مدرسية، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى سنة 1914، حين كانت سوريا لا تزال بيد الأتراك لظروف عامة نقل المؤلف للغرض نفسه إلى عاصمتها دمشق، وفي سنة 1918 حين دخل المرحوم الأمير فيصل دمشق[8]، واستقلت سوريا وتوج فيها ملكًا

= (6) في الملحق الخاص عن المؤلف في كتابه رمضان السويحلي ص: 323 ذكر هذه الإضافة «ولد المؤلف حوالي سنة 1904م في مدينة مصراته بقرية الشواهدة التحتية المحاذية لمحلة الزعابة وتقع غرب المواطين بثلاثة كيلومترات تقريباً.

(1) يستفاد مما كتبه في الملحق الخاص في كتابه رمضان السويحلي: 324 أن التحاقه بهذا الجامع كان بعد التحاقه بكتَّاب قرية الزعابة الذي أخذ فيه عن الفقيه الحاج محمد بن زعبية.

(2) هذا الشيخ المجاهد هو جد الشيخ مصطفى عبد السلام التريكي، الذي تميز بعد تقلده منصب عميد كلية أصول الدين بالتبريز في التعليم والوعظ.

(3) رمضان السويحلي: 324.

(4) من الطرق الصوفية التي كان لها ذيوع في هذا القرن بليبيا وبخاصة في مصراته وطرابلس، ثم انحسر ظلها، وقل أتباعها.

(5) رمضان السويحلي: 324.

(6) هي السيدة فاطمة حفيدة الحاج سالم بن شعيب.

(7) سبقت الإشارة إليها.

(8) هو فيصل بن الحسين المكنى أبا غازي ولد سنة (1300 ـ 1883) وترعرع في خيام بني عتيبة في بادية الحجاز، ورحل والده الشريف حسين إلى الآستانة، ثم خاض معامع سياسة بدءًا بمجلس المبعوثين العثمانيين، وانتهاء بصفة الملوكية في سوريا والعراق، =

دخل المؤلف إلى مدرسة دورية للبرق والهاتف كان مقرها في دمشق بمحلة سوق ساروجة[1] وبعد ستة أشهر أدى امتحاناته التطبيقية في بعثة فنية أنشأت في شرقي الأردن خطوطًا ومراكز ما بين عمان وكرك الحجاز[2] وذلك حين كان هذا الأقليم الكبير لا يزال تابعًا لسوريا، وكان حاكم الكرك العسكري وقتئذٍ معينًا من قبل الحكومة الفيصلية وهو الكولونيل علي خلقي بك الجرشي[3]، وبعد رجوع البعثة لدمشق ونجاح المؤلف صار موظفًا لعمله الفني في وزارة الحربية ببناية المشيرية، أيام رئيسها القائد الشهيد يوسف بك العظمة[4] وكان المؤلف في وظيفة عمله بهذه الوزارة مرتبطًا بشعبة أركان الحرب الأَول المرحوم مصطفى وصفي بك[5] ومن هذه الشخصية العظيمة تلقح المؤلف بالروح المثالية المخلصة في تأدية الواجب، وبفضل هذا الأركان الفذ ـ خريج الكليات الحربية في تركيا وألمانيا ـ رقي المؤلف لمثل عمله الفني في البلاط الملكي بمحلة الجسر[6] ثم لتكاثر الأعمال في شعبة الأركان الأولى بمناسبة حوادث ميسلون ومقدماتها[7]؛ أعيد إليها المؤلف هو ولفيف من زملائه النجباء، وفي عهد الانتداب عين المؤلف مأمورًا لمصلحة التلفونات في قضاء دوما[8] أيام متصرفها العظيم رفعت بك الأيوبي[9] ولما نقل هذا المتصرف إلى ولاية حلب[10] وبها

= وقد وصفه صاحب الأعلام جـ 5 : 165 بأنه «من أشهر ساسة العرب في العصر الحديث» وقد توفي بالسكتة القلبية في سويسرا سنة (1352 ـ 1933).

(1) (2) مواضع لا تزال تعرف بهذه التسمية إلى اليوم.

(3) لم أعثر له على ترجمة، راجع رمضان السويحلي: 327.

(4) أحد الوزراء وأبطال معركة ميسلون، ولد في دمشق وتعلم بها وبالآستانة وتولى مناصب عالية في الجيش العثماني، كان يجيد عددًا من اللغات، ويمتاز بالوطنية الصادقة والبلاء الحسن، وقد استشهد في معركة ميسلون (1338 ـ 1920) الاعلام 8 : 213.

(5) لم تسعف المراجع بترجمة تلقي الضوء على هذه الشخصية.

(6) محلة بدمشق معروفة باسمها المذكور إلى الوقت الحاضر.

(7) كان يوم ميسلون، الذي تصدى فيه السوريون للقوات الفرنسية وغدرها يوم 7 من ذي القعدة الموافق 24 تموز (يوليو) 1920.

(8) قضاء دوما أو منطقة دوما موضع غير بعيد عن العاصمة دمشق.

(9) من أسرة الأيوبي المعدودة من مشاهير الأسر والبيوتات في الشام.

(10) ولاية حلب هي عاصمة دولة بني حمدان في القديم وقد كان لها الدور البارز في التاريخ الإسلامي القديم على المستوى السياسي والعسكري والمستوى الثقافي والأدبي.

توفي فقد به المؤلف سندًا شفيقًا، رفع من قيمته في أرض غربته: ـ

ذهب الذين أحبهم ... وبقيت مثل السيف فردًا

فترك بعده خدمة الحكومة، واحترف التعليم الحر الابتدائي في دمشق، من ذلك أنه اشتغل مدة في مدرسة الناشئة العربية لصاحبها الأستاذ العالم الشيخ محمد الدالاتي[1] حين كانت بزقاق الحطاب، وفيها تصاحب مع مواطنه الطرابلسي الأستاذ عبد الرزاق الياجقني[2]، وكان عمله الرسمي بالمعارف، وله ها هنا بعض الحصص الإضافية، وفي أثناء اشتغال المؤلف في دمشق بالتعليم الأهلي شعر بنقصان ثقافته، واتجه فكره إلى الاستزادة منها، ففي سنة 1926م ببر الحسيبة النسيبة السيدة أنيسة اليشرطية، حفيدة القطب العظيم سيدي علي نور الدين آل يشرط صاحب الضريح والطريقة النيرين بمدينة عكا[3] الفلسطينية ـ أعادها الله إلى حظيرة العروبة ـ وقد تعرف عليها قبلاً حين ذهابه إلى تركيا، ثم وبما كان قد أذخره هو من مرتبات وظائفه السابقة كل من هذين الأمرين الشريفين وحدهما قد يسرا للمؤلف في ذاك التاريخ أن يسعى للقاهرة اتمامًا لتحصيله، وتقوية لعربيته، وبالكد المستمر وبالاستعداد الذهني أخذ في السنة الأولى من مجيئه الشهادة الإبتدائية للأزهر النظامي من الخارج، وكانت بقوة مناهجها الإسلامية والعربية والرياضية والعلوم الحديثة أمنع على غير المجدين من عقاب الجو، وفي العهد الأول من مشيخة الإمام المراغي للأزهر[4]، تقدم

---

(1) من شيوخ العلم البارزين في دمشق، وقد أدى دورًا بارزًا في الحياة التعليمية مع شلة من أقرانه من أمثال الشيخ عارف المحملجي والشيخ علي التكريتي والشيخ عبد المحسن الأسطواني والشيخ ياسين الجويجاني.

(2) من رجال التربية والتعليم الذين قاموا بواجبهم في نشر العلم بسوريا وساهم بدور محمود في حركة النضال السياسي ضد إيطاليا في مهجره بدمشق، وهو شقيق الشيخ عبد الغني الباجقني الذي نهض بالأدوار التي نهض بها الأستاذ عبد الرزاق.

(3) مدنية عكا مدينة مشهورة من؟؟؟؟

(4) ولد الشيخ محمد مصطفى المراغي بمصر سنة (1298 ـ 1881) وتلقى تعليمه في الأزهر فكان فيه من المتفوقين النابعين، وكان يمتاز كما ذكر الأستاذ محمد كرد علي «بذاكرة قوية يذكر ما مر به من أربعين سنة لا يخرم منه معنى، وقد جمع إلى ذكائه الفطري استقلال الفكر وحب الاطلاع، فما سد أذنيه وعينيه عن سماع الجديد والنظر فيه» المعاصرون ص 375 تولى بعد تخرجه التدريس والقضاء ثم تولى في التاسعة والأربعين=

لثانوية الأزهر النظامي من الخارج، وكانت مقرراتها الدراسية في مستوى تجهيزية دار العلوم حتى في مواد الجبر والهندسة، وأدى امتحانها مطمئنًا بالنجاح، ولكنه فوجئ أن صدر قرار يمنع الثانوية من الخارج إلا بعد أربع سنوات من أخذ الابتدائية، وفي هذه الأثناء بتشريف إخوانه إياه من طلاب الرواق المغربي تولى رئاسة اللجنة التي ألفوها ـ رغبة في إصلاح الرواق وأوقافه من جميع الوجوه ـ وكان من أعضائها البارزين العالم المرحوم الشيخ فرج بن عبد السلام الفيتوري[1] الذي شغل منذ ثلاث سنوات إدارة التدريس في المعهد الأسمري بزليتن[2] ثم توفي فيها قبل أن يحقق رسالته الإيقاظية؛ فاتصل المؤلف لهذا السبب هو وإخوانه الأعضاء بالإمام المراغي كثيرًا، ووجدوا منه ما استحق به أن يكون خليفة أستاذه الشيخ محمد عبده[3] وتمغطس المؤلف منه بمثالية أخرى إسلامية، وقد بلغت اللجنة عنده من الحظوة أن اعترف بها رسميًا،

= من عمره مشيخة الأزهر فسار فيها بالطرائق الاصطلاحية التي أفادها من شيخه الشيخ محمد عبدة وأفرغ جهده في هذا العمل؛ فكان ذلك على حساب ما كان يرجى منه من الكتابة والتأليف وقد ذكر الكثير من مترجميه جوانب من خلاله تدل على عظمة نفسه، وقوة تدينه، وحبه للخير والاصلاح، وترفعه عن زيوف الدنيا وفسادها، وتوفي سنة (1364 ـ 1945). راجع ترجمته في المعاصرون ص 373. الإعلام 7 : 103.

(1) ذكر الشيخ الطاهر الزاوي في كتاب إعلام ليبيا : 250 أنه «ولد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وحفظ القرآن بزاوية الشيخ عبد السلام بزليطن، وفيها أخذ مبادئ العلوم، ورحل إلى الأزهر لطلب العلم وانتسب إلى رواق المغاربة» ووصفه بأنه كان «مجدًا في التحصيل والمثابرة على الدرس، وأنه نال الشهادة سنة (1354 ـ 1936) وتوفى سنة (1366 ـ 1946).

(2) تعرف بزاوية الشيخ أي الشيخ عبد السلام الأسمر أسست في حياته سنة 900هـ، ولها أوقاف كثيرة ساعدت على قيامها بدورها التعليمي، ونشر العلم منذ تاريخ التأسيس إلى يومنا هذا. راجع معجم البلدان الليبية : 164.

(3) ولد الشيخ محمد عبده في مصر سنة (1266 ـ 1849) أخذ مبادئ العلوم في قريته ثم أَتمَّ دراسته في الأزهر، وفي سنة 1871 جاء إلى مصر الشيخ جمال الدين الأفغاني فارتبط به ولازمه، ثم دخل في ميادين السياسة والاصلاح الأزهري الذي عرف به، وشارك في تحرير مجلة العروة الوثقى، وقد عرضه نشاطه السياسي إلى الكثير من المضايقة بل النفي، وفي سنة 1899 عين فقيهاً للديار المصرية، وقد تحلق به صفوة من أبرز تلاميذه ومريديه في طليعتهم الشيخ محمد المراغي فتأثروه ونهجوا نهجه، وللشيخ محمد عبده العديد من الآثار العلمية، وكانت وفاته سنة (1323 ـ 1905) الإعلام 6 : 252.

وكادت لولا استقالته الأولى[1] أن تظفر جميع مطالبها بالنجاح الباهر، وحين شرح المؤلف للإمام المراغي ما أصابه من تأخر بإيقاف شهادته الثانوية من الخارج، أمر ـ رحمه الله ـ أن تعطى له بصفة ممتازة خاصة، وأشار على إدارته بالأسباب المعقولة[2]، ولكن الإمام المراغي استقال في مشيخته الأولى قبل أن ينفذ أمره، وعوكس المؤلف بعده فلم تعط له، وترك بعد المراغي العظيم الأزهر، وانتسب رسميًا بامتحان المعادلة إلى مدرسة دار العلوم العليا الحكومية، زمن ناظرها أحمد براده بك[3]، وكان الفضل الأول في تيسير دخوله إليها بالمعادلة، راجع إلى عظيمين مصريين أولهما المرحوم صاحب الدولة محمد محمود باشا[4] حين كان حوالى سنة 1930 رئيسًا للوزارة، وثانيهما إلى سكرتيرة الخاص وقتئذٍ، وزوج كريمته وسفير مصر بأمريكا الآن، وهو السيد كامل عبد الرحيم[5] ورتبته قبل العهد المصري الحاضر (باشا) إذ كان المؤلف في ذلك التاريخ قابل السيد كامل، وشرح له شخصيًا عصاميته وطموحه وظروفه الخاصة، واسترحم من صاحب الدولة محمد محمود باشا مساعدته الأَدبية، فظفر من كليهما بالتأييد الفعال السريع، حتى تم له الالتحاق بدار العلوم[6] على

---

(1) عين شيخاً للأزهر سنة (1347/ 1928) ومكث في المشيخة عامًا ثم أقيل، ثم أعيد إليها سنة (1354 ـ 1935) فاستمر فيها إلى أن توفي سنة (1364 ـ 1945).

(2) مما ذكره الأستاذ محمد كرد علي في وصف أخلاق الشيخ محمد المراغيُ، وهو مما يدعم ما جاء في هذه اللمحة قوله يصور ما عرف به من مساعدة طلبة العلم «وما كان يغفل عن معاونة كل مسلم يهبط مصر من القاصية ليرشف من معين العلم في الأزهر» المعاصرون: 386.

(3) لم أعثر على معلومات أخرى غير هذه المعلومة التي ذكرها المترجم له.

(4) من رجال مصر البارزين ولد في سنة (1294 ـ 1877) وتلقى تعليمه في مصر ثم بجامعة أكسفورد، وتقلد العديد من المناصب المتقدمة كان آخرها منصب رئاسة الوزارة، وله مواقف ضد الانجليز، وصفه خير الدين الزركلي بقوله «وكان متقد الذكاء، عصبي المزاج، فيه أنفة وعنجهية» الإعلام: 7: 90.

(5) من الشخصيات البارزة في المجال السياسي والدبلوماسي المصري.

(6) يرجع الفضل في تأسيس دار العلوم التي لعبت في العصر الحديث دورًا تعليميًا وفكريًا في مصر والبلاد العربية والإسلامية إلى الوزير العالم علي مبارك باشا، فقد تأسست في سنة (1289 ـ 1872) وظلت على أداء دورها الثقافي الذي أنشئت من أجلة إلى اليوم، وقد نهض بالتدريس فيها منذ تأسيسها أبرز شيوخ مصر وأساتذتها، كما تخرج فيها الآلاف من النابهين والمصلحين في مصر، وفي العالم الإسلامي.

ذاك الشرط، وفي سنة 1935 نال منها إجازة التدريس[1] بتفوق نوهت عنه في حينه أمهات الجرائد المصرية، ومنها البلاغ والمقطم ثم الأهرام في عددها المؤرخ يوم 19 أكتوبر مع نشرها لصورته، وكان من ألمع أساتذته العظام في دار العلوم العليا هم العلامة الفيلسوف الدكتور علي العناني[2] والجغرافي الشهير الشيخ محمد فخر الدين[3] وفي الأدب العربي الأستاذ الشيخ أحمد الاسكندري[4] صاحب كتاب الوسيط وفي اللغة والقواعد الأستاذ أحمد نجاتي[5] وفي أصول التدريس ونظم التعليم المربي الكبير زكي المهندس[6] وفي التفسير وأحكامه عبد الفتاح خليفة[7] وفي علم النفس عطية

---

(1) راجع تقويم دار العلوم ص 498، 780.

(2) تخرج سنة (1328 ـ 1910) من دار العلوم، وأكمل دراسته في ألمانيا حيث حصل على دكتوراه الدولة من برلين سنة (1336 ـ 1917) وقد درس الجامعة عددًا من المواد منها اللغة العبرية واللغات السامية، والعلوم الفلسفية، وكانت وفاته في سنة (1363 ـ 1943) تقويم دار العلوم: 221.

(3) تخرج سنة (1322 ـ 1904) من الأزهر ثم اشتغل بالتعليم العام، وفي سنة (1323 ـ 1905) نقل إلى دار العلوم التي ظل مدرسًا بها إلى سنة (1360 ـ 1941).

(4) ولد في سنة (1262 ـ 1875) وتخرج من الأزهر سنة (1316 ـ 1898) ونهض بأعباء التدريس في المدارس الأميرية، والنظارة في مدرسة المعلمين بالفيوم ثم انتقل منذ سنة (1325 ـ 1907) مدرسًا إلى دار العلوم، كما تولى تدريس الأدب بكلية الآداب، وعين في سنة (1351 ـ 1932) عضوًا بمجمع اللغة العربية وشارك في أوائل القرن العشرين في مؤتمر المستشرقين ببلاد اليونان، وقد أحيل إلى المعاش سنة (1354 ـ 1935) وله آثار قلمية من أبرزها كتابه الوسيط، ومذكرات في فقه اللغة، وكتاب في اللهجات العامية وغيرها من الكتب المدرسية، تقويم دار العلوم: 197.

(5) عرف بميله إلى دراسة اللغة العربية والأدب منذ صغره، وتخرج في سنة (1324 ـ 1906) ثم نقل إلى دار العلوم وظل بها إلى سنة (1357 ـ 1938) كما عين أستاذًا بدار العلوم العالية في بغداد، وله مؤلفات كثيرة. راجع تقويم دار العلوم: 202.

(6) ولد في سنة (1305 ـ 1887) وتخرج في سنة (1328 ـ 1910) وسافر إلى إنجلترا لإكمال دراسته العليا، وبعد عودته إلى بلاده سنة (1351 ـ 1932) منح لقب أستاذ في سنة (1358 ـ 1939) ورقي عميدًا في سنة (1365 ـ 1945) وأحيل إلى المعاش بعد سنتين من ذلك التاريخ بتقويم دار العلوم: 155.

(7) من خريجي سنة (1328 ـ 1910) وتم نقله للتدريس بدار العلوم سنة (1342 ـ 1923) وكان ينهض بأعباء كثيرة فيها مع ما عرف به من الصلاح والتفاني في العمل، وقد دامت حياته ما بين سنتي (1884 ـ 1946) راجع تقويم دار العلوم: 220.

الأبراشي[1] وفي التاريخ حسن خليفة[2] وهو المؤلف لكتاب تاريخ النظريات السياسية، وفي البحوث الإسلامية وطوائفها كل من الأساتذة التوني[3] وطه عبد البر[4] والبشبيشي[5]، وغير هؤلاء من العلماء والأساتذة الأكابر كثير، وكان من أعضاء اللجان التي حضرت امتحان تخرجه مصطفى أمين بك[6] صاحب كتاب تاريخ التربية، وجاد المولى بك[7] صاحب كتاب الإنسان الكامل. وإلى التثقيف المخلص من جميع أولئك الأساتذة العظام وغيرهم ممن يضيق المجال عن ذكرهم، يرجع الفضل الأول في إحرازه على ذاك التفوق، وبعد تخرجه أريد تعيينه بمدارس الحكومة المصرية ولكن نظرًا لعدم تحصله على الجنسية المصرية اشتغل في التعليم الحر بمدارس القاهرة، واختاره صديقه السيد ولي الدين آل يسعد[8] رئيس البعثة السعودية بالقاهرة، أستاذًا ممتازًا لفريق من طلابها

---

(1) من خريجي دار العلوم في سنة (1340 ـ 1921) وتلقى تحصيله العالي في انجلترا، وعاد في سنة (1349 ـ 1930) إلى مصر فانخرط في التدريس بدار العلوم التي ظهر فيها نشاطه، وهو من أساتذتها الذين عرفوا بكثرة التأليف والكتابة في مجاله التخصصي الجديد، وقد أربت تآليفه على الثلاثين مؤلفًا. تقويم دار العلوم: 299.

(2) لم أعثر له على ترجمة، ويبدو أنه كان من الطبقة التي اقتصرت جهودها على التعليم، وبناء النشىء وتخريجهم.

(3) لعله يشير بذلك إلى الأستاذ أحمد التوني المتخرج سنة (1318 ـ 1900) والذي نقل بعد عمل دام طويلاً في التعليم العام إلى دار العلوم سنة (1356 ـ 1937) وكان من أساتذة الرياضة والجغرافيا. راجع تقويم دار العلوم: 214.

(4)(5) لم أعثر لهما على ترجمة في المراجع التي رجعت إليها.

(6) كان تخرجه في دار العلوم سنة (1325 ـ 1907) ثم أوفد إلى انجلترا حيث أتم تعليمه في أكستر، ورجع إلى بلاده بعد أربع سنوات، فابتدأ حياته العملية سنة (1329/ 1911) وتقلد العديد من الوظائف، وألف العديد من الكتب في اللغة والتربية بالاشتراك مع الأديب علي الجارم ـ تقويم دار العلوم: 205.

(7) ولد سنة (1301 ـ 1883) وتخرج في سنة (1324 ـ 1906) وأكمل دراسته في انجلترا وفيها قام بالتدريس في مادة اللغة العربية بأكسفورد، وعاد إلى بلاده مصر فنهض بالتدريس وبوظائف أخرى، وكان معروفًا بالتأليف والنشاط العلمي، وكانت وفاته سنة (1364 ـ 1944). تقويم دار العلوم: 352.

(8) وصفه صاحب كتاب تقويم دار العلوم ص 489 بقوله «مراقب البعثة السعودية بالقاهرة قبلاً، تخرج سنة 1934، واشتغل بالتدريس في التعليم الحر بالمدارس الابتدائية والثانوية ثم عين مراقبًا لإدارة البعثات السعودية بمصر، ثم معتمد معارف المملكة العربية السعودية بها».

الوجهاء، وكان من بينهم السيد حسن سرور الصبان[1] ابن نائب وزير مالية المملكة العربية السعودية؛ ثم تملك المؤلف الحنين إلى رؤية والديه وأفراد أسرته بوطنه؛ فاَضطر إلى أن يذهب إلى القنصلية الإيطالية بالقاهرة لإثبات جنسيته كي تسمح له بالمجيء إلى طرابلس، وبعد متاعب منها شاقة رجع إلى وطنه، ثم إلى مسقط رأسه مصراته؛ فوجد والده متوفيًا بتونس بعد أن كبرت سنه، وتبددت مكاسبه، ووجد أخويه اللذين هما أكبر من المؤلف سنًا[2] قد ماتا زمن الحروب الوطنية قبل أن يتزوجا ووجد والدته حية وهي في حال أسيف، وكانت له شقيقة أصغر منه، وجدها متزوجة وأحوال أسرتها الفلاحة بأراضيها الخاصة حسنة جدًا، وحين هَمَّ بالرجوع إلى المشرق تسارع أفاضل مدينة طرابلس إلى الحكومة طالبين الانتفاع به لتثقيف أبناء وطنه فوافقت على رغبتهم، وعينته إدارة أوقاف المدينة في المدرسة الإسلامية العليا[3] أستاذًا لطائفة من مواد العلوم الحديثة، وفي العطلة الصيفية من تعيينه رجع إلى مصر لإحضار كتبه، ولقضاء مصالح تعليمية هناك كانت مرتبطة من قبل به؛ فانتهز المرجفون هذه الفرصة فقالوا عنه هاهنا ما شاءوا، وقال عنه أمثالهم بمصر ما شاءوا (ولا يخلو المرء من صديق يمدح، وعدو يقدح) فعزل هنا بتدبير خفي وهو في مصر، وبقيت والدته تدعو الله في صلواتها أن يرجع إليها ابنها الوحيد لينزلها إلى قبرها على يديه، وبقي في القاهرة مشتغلاً بالتعليم الحر المشرفة عليه وزارة المعارف،

---

(1) قال في ترجمته المكتوبة في كتابه رمضان السويحلي: 331 «ومما يدل على مكارم أخلاق الشيخ سرور أنه لما زار ليبيا وجاء لطرابلس؛ فقد طلب أن يقابل المؤلف بصفته كان مدرسًا موفقًا لابنه؟ فلما قيل له إنه متغيب في مصراته أسف كثيرًا لعدم رؤيته».

(2) ذكر ذلك أيضًا في كتابه رمضان السويحلي: 331.

(3) تأسست هذه المدرسة في مدينة طرابلس سنة (1354/ 1935) وقد قصدت إيطاليا بتأسيسها منع الرحلات العلمية التحصيليه التي يقوم بها أبناء ليبيا إلى الأزهر والزيتونة؛ وعلى الرغم من أن عمر المدرسة الإسلامية لم يطل إذ أغلقت سنة (1359/ 1940) فإن المخلصين من الذين قاموا بالتدريس فيها، بثوا من خلالها العلم، ووسعوا دائرة المتعلمين، ونبهوا الأذهان إلى الحقائق، وقد كان من أبرزهم حسب ما جاء في إفادة الأستاذ بهجت القرمانلي المنشورة في مجلة الشهيد العدد 3/ 1982 نقلاً عن التقويم السنوي السياحي للسنة (1353/ 1934) محمد بن مسعود مادة التاريخ الشيخ محمد المصراتي الدين الشيخ محمود المسلاتي اللغة العربية، علي حيدر الساعاتي الخط والحساب، مصطفى القلالي الرياضيات والصحة.

ولكن طلابه في المدرسة الإسلامية العليا هم وآباؤهم قالوا للحكومة نريد أستاذًا من مصر للعلوم الحديثة كمحمد مسعود، وقدر ربك أن تشترط المعارف المصرية على المدارس المعانة من قبلها أن يكون معلموها الفنيون من حملة الجنسية المصرية، إذ رائحة الحرب العالمية الثانية كانت قد انتشرت، وتحرج موقفه بهذا القرار فسعى للتحصل على الجنسية المصرية، واستوفى شروطها، وكاد يظفر بها، فلم توافق على ذلك إيطاليا عملاً بمعاهدة جغبوب[1] المعقودة زمن زيور باشا[2] فرجع سنة 1939 إلى وطنه للمرة الثانية معينًا من القاهرة لوظيفته السابقة أستاذًا في المدرسة الإسلامية العليا، وتلقاه طلابها بالترحاب المزيد، وإلى هؤلاء يرجع الفضل الأول في إخلاصه بخدمة التعليم في وطنه[3]، وفي سنة 1944 عين مديرًا لمدارس مصراته مصراته العربية، وفي مدتها على أثر حادثة دبرت للقضاء على مكانته[4]، توفيت والدته متأثرة وأنزلها

(1) تم التوقيع على هذه المعاهدة بين الحكومتين المصرية والإيطالية في 20 من جمادى الأولى سنة (1344 ـ 1925).

(2) هو أحمد بن زيور رحمي قوقاسي الأصل. ولد في الإسكندرية سنة (1281 ـ 1864) وتلقى تعليمه فيها وفي بيروت وفرنسا ثم تولى المناصب الإدارية إلى أن وصل إلى رئاسة الوزراء في مصر ورئاسة الديوان الملكي بها؛ وعرف بمواقفه المتخاذلة التي جعلته هدفًا لانتقادات الساسة والصحافيين في عصره، وذكر صاحب الإعلام: 130، أنه كان يجيد مع العربية الفرنسية والتركية ويفهم الانجليزية والإيطالية، وكانت وفاته سنة (1364 ـ 1945).

(3) أضاف في ترجمته التي كتبها في كتابه رمضان السويحلي «وآب خصومه وشانئوه بمقت الناس لهم، وعلى الرغم من الحياة القصيرة للمدرسة التي لم تزد عن سبع سنوات (1934 ـ 1943) فإنها أنجبت الشباب الطرابلسي المثقف ههنا الذي قام بالنهضة الحضارية الحديثة أيام العهد الماضي في شتى المجالات ذلك أن طلاب المدرسة كانوا يؤخذون من صفوة التلاميذ الأذكياء، الذين أتموا من قبل تحصيلهم بنجاح في المدارس العربية الإيطالية الحكومية.

(4) في ترجمته المكتوبة في كتابه رمضان السويحلي: 334 شيء من التفصيل يتصل بهذه الحادثة قال «ولم يرض نجاحه الجديد كذلك أرباب حرفته التعليمية في طرابلس ومصراته خوفًا من أن يزداد به رفعة عنهم فدبروا له مكيدة سياسية وإدارية واختلاسية فأوقف من أجلها عن عمله، ودفع بسبب المكيدة المزورة لمحاكمته قضائيًا باستئناف طرابلس ليكون قرارها مبرم الانجاز، وفي هذه الأثناء توفيت والدته تأثرًا مما جرى لابنها من أعدائه وأنزلها إلى قبرها على يده، وبعد أربعة أشهر لثبوت بطلان التهمة وتلفيقها برأته المحكمة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وردت إليه جميع اعتباراته الشخصية، ومرتباته الموقوفة.

إلى قبرها على يديه؛ فحقق الله لها بذلك رجاءها منه، وفي سنة 1945 نقل إلى مدينة طرابلس مشرفًا على أولى دورات المعلمين المنتظمة[1]، ومن سنة 1946 إلى سنة 1948 كان أستاذًا وقائمًا بأعمال مدرسة طرابلس الثانوية، وفي هذه المدة لم يسلم أيضًا من منغصات عليه عامة وتطورت الأحوال التعليمية فزحزح بلباقة أو تزحزح هو بلباقة إلى أستاذ للتاريخ، ويوم أريد ترقيته إلى مدير للثانوية قال[2]:

حب السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

وقال: إنني مطمئن الآن إلى وظيفتي باعتباري مدرسًا فكان له ما أراد، وهو لا يزال على هذا الاعتبار شأنًا ومرتبًا وعملاً، وقد أتينا بهذه اللمحة عن المؤلف ووالده تنويرًا لذهن القارئ الكريم عن شخص الذي يقرأ كتابه ماضيًا وحاضرًا، وتخليدًا لفضل أولئك العظام الذين لهم المآثر الغراء في تثقيفه.

وظائفه وانتداباته سابقًا(**)

وفي مدة ثلاث عشرة سنة (1952 ـ 1965) أيام الحكم الملكي[3] صار

(1) كتب الأستاذ محمد عبد الجواد في كتابه القيم «تقويم دار العلوم العدد الماسي، الصادر بمناسبة مرور 75 عامًا على تأسيس الدار 1872 ـ 1947. هذه النبذة تحت عنوان أبناء دار العلوم في سائر الأقطار ـ أبناء دار العلوم في بلاد المغرب «محمد مسعود فشيكة (1935) الطرابلسي: «وقد أشرف محمد مسعود فشيكة على إدارة مدارس مصراته مسقط رأسه، ثم على دورة المعلمين» وأخيرًا قام بأعمال أول مدرسة ثانوية أنشئت في طرابلس، وقد ألف كتاب «التاريخ الليبي في جزأين و360 صفحة» وأثبت إلى جوار هذه النبذة صورته. تقويم دار العلوم: 498.

(2) هذا البيت من أبيات لامية العجم الشهيرة للعميد مؤيد الدين الطغرائي والتي قالها قبل وفاته، وبعد مروره بأزمة نفسية حادة، أفضت به إلى إيداع الكثير من تجاربه في سياق هذه اللامية التي صارت منذ القرن السادس من محفوظ الأدباء وشداة الأدب، وقد شرحها شرحًا وافيًا ضافيًا العديد من الإعلام في المشرق والمغرب، نذكر منهم على سبيل التمثيل العلامتين صلاح الدين الصفدي، وأبا جمعة الماغوسي المراكشي الذي فرغت من تحقيق كتابه «إيضاح المبهم من لامية العجم».

(**) هذا الجزء مقتطع من الملحق الخاص عن حياة المؤلف من كتابه رمضان السويحلي: 337 ـ 340.

(3) استمر هذا الحكم من سنة (1372 ـ 1952) إلى (1389 ـ 1969).

المؤلف الشخصية اللامعة في وزارة المعارف الليبية؛ فقد عين مفتشًا عامًا للمواد الاجتماعية، وفي أثناء ذلك ألف سلسلة من الكتب المنهجية في التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية وفقًا لمقررات المرحلتين الابتدائية والإعدادية حازت على تقديرات زملائه المدرسين، وإقبال التلاميذ والطلاب على اقتنائها لتركيز معلوماتها في صميم مناهجهم، مع تنسيقها التربوي الفهيم ومعانيها الواضحة[1]، وفي هذا العهد لا تكاد أعداد جريدتي طرابلس الغرب والرائد المحتجبتين تخلو من كتاباته فيهما بشتى الأبحاث الثقافية والاجتماعية، بقلمه السهل الممتنع وتحقيقاته الممتعة[2].

ثم جعل مديرًا عامًا للتعليم الحر في ليبيا، وكانت تتبعه مدارس ثماني جاليات أوربية أكبرها الإيطالية، وتضم في جملتها قرابة اثنى عشر (12) ألف تلميذ وتلميذة؛ فأخضعها جميعًا بصلابة عوده لتنفيذ القانون الخاص بالتعليم الحر، ومن أهم شروطه؛ تدريسها اللغة العربية، وتاريخ وجغرافية البلاد، وأكبر مجهود له في هذا العمل أنه لخص لها تاريخ وجغرافيه [ليبيا][3]، وترجم للغتين الانجليزية والإيطالية [عمله][4] ولنجاحه في هذا المنصب أضيفت إليه المديرية العامة لمحو الأمية.

وفي المؤتمر الدولي لمحو الأمية الذي عقدته منظمة اليونيسكو بفندق سان استيفنو بالإسكندرية سنة 1965 انتدبته معارف ليبيا أيام وزيرها السيد منير البعباع رئيسًا لوفدها في هذا المؤتمر، وأعجب أعضاؤه به لفكرته القائلة؛ إنه خير وسيلة للقضاء السريع على محو الأمية هي التعبئة العامة لمحاربتها بأن تساهم في ذلك جميع الأجهزة الحكومية في الدول المنتشرة بها الأمية[5]،

---

(1) سيأتي ذكر أسماء هذه الكتب والمؤلفات بعد قليل.

(2) (3) ما بين المعكفين زيادة من المشرف على هذا الكتاب لسقوطهما من الأصل.

نذكر منها على سبيل الإيماء مقالاته في الرد على البهائية ومقالاته الأخرى مثل تاريخنا والمصادر الأروبية والأحوال التأليفية لتواريخنا.

(4) ما بين المعكفين زيادة من المشرف على إعداد هذا الكتاب لسقوطهما من الأصل.

(5) لا خلاف في أن هذا المقترح العملي هو أفضل الطرائق الفاعلة في القضاء على الأمية المنتشرة في البلدان المتخلفة والنامية، وقد أثبت جدواه وتأثيره في العديد من الدول التي أخذت به مؤسساتها في محاربة الأمية.

وشرح لهم فكرته بإيجاز في هذا الخصوص، وفي أثناء تلك المدة رقي إلى درجة وكيل مساعد بالوزارة، وفي 12 مارس سنة 1965م مثل ليبيا في اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية بالقاهرة، وبفضل موقفه أبطل تقرير الإلغاء لامتحان الدين في الشهادة الابتدائية، وفي أول مايو سنة 1965م على الرغم من أنه كان محالاً على التقاعد بناء على طلبه؛ فقد انتدب أيضًا بهذا التاريخ بصفة استثنائية ليمثل ليبيا في الموسم الثالث للكتاب العربي الذي انعقد بالرباط في المملكة المغربية، وكان لما نشره عن وطنه هناك في جريدة العلم، وللمحاضرة التي ألقاها بجامعة الرباط الصيت الحميد عن ليبيا ونهضتها الحديثة المباركة في شتى الميادين الحضارية والحيوية.

بعهد الثورة وحاضره:

ولما قامت الثورة الليبية المجيدة بالفاتح من سبتمبر سنة 1969م كتب فيها أيضًا سلسلة من مؤلفاته المدرسية في التربية والتاريخ والجغرافيا وفقًا للمناهج التعليمية التي أُعدت لتلائم الوضع الوطني الجديد وقد راجت لمميزاتها في محيط المدارس الابتدائية والاعدادية رواجًا كبيرًا، واستمر تداولها المدرسي نحو سنتين بنفس الإقبال الرائج، إلى أن عدلت المناهج بصفة عامة بما يتفق مع المبادئ الوحدوية للثورة؛ فألغي تداولها لهذا السبب.

غير أن كتابه المسمى «أصول التربية الوطنية، للسنة الثالثة الاعدادية» كان أهم مؤلفاته التربوية في هذا العهد قيمة علمية وتاريخية، ومن أجل هذا استبقت الوزارة العمل به رسميًا لفترة سنة أخرى، ذلك أنه انفرد بتفصيله لمنهج الثالثة الاعدادية في ثلاثة أمور هامة؛ أولها إشارته إلى علاقة الجمهورية العربية الليبية الوثيقة بأفريقيا والبلدان العربية، سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، وثانيها: ارتباطها الدولي بالهيئات الأممية والمؤتمرات العالمية على اختلاف أغراضها، وثالثها إشارته إلى الأثر العالمي البليغ لقيام الثورة الليبية بالفاتح من سبتمبر سنة 1969م، وعلاقاتها وارتباطاتها القوية بالأمرين السابقين الأول والثاني.

ثم تحدث بعد ذلك المسرد التعليمي والوظيفي والتأليفي عن وضعه الأسري والاجتماعي الخاص نثبته لأنه يلقي مع ما تقدم حزمة من الأضواء الكاشفة عن سيرته الذاتية قال: ـ

«ووضع المؤلف الاجتماعي عند الصدور لهذا الكتاب فإن له أسرة متكونة من ثمانية أشخاص وهم: زوجته المثالية المتقدم ذكرها السيدة فاطمة وأم جميع أبنائه وبناته؛ وهؤلاء ولدان أكبرهما يسمى نور الدين طالب في السنة الثالثة الاعدادية والآخر عادل تلميذ في السنة السادسة الابتدائية وأربع بنات وهن أنيسة وعائشة طالبتان في كلية التربية بالجامعة الطرابلسية، وخديجة طالبة في السنة التوجيهية، وصغراهن اسمها فائزة تلميذة في السنة الثانية الابتدائية.

ومع هذا العدد للأَسرة فإنه يفضل حياته المنزلية الرضية، وعمله بموارده المحدودة من تقاعده، وملكيته لبعض العقارات المكتسِبة من بيع كتبه، وعملاً بقاعدة «لا تقتير ولا تبذير» لذلك لم يكن لهذه الأسباب مأزومًا في شيء من الناحية الاقتصادية، وعلى الرغم من كونه يحمل شهادتي محاماة لدى المحاكم المدنية والشرعية، فأيثارًا منه لراحة بدنه وضميره لم يشتغل للقيام بهما في مجالات التقاضي، وهذه الخلاصة العامة لحياة المؤلف، رويت عنه بإيجاز وصدق خدمة للحقيقة والتاريخ، ونسأله تعالى حسن الختام».

أ ـ مؤلفاته وآثاره القلمية(*)

1 ـ تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر. طرابلس، 1950م. ج 1، مصور يتضمن حوادث ليبيا في القرون الأولى والوسطى مع طائفة من الصور التاريخية.

صدرت ثلاث طبعات أخرى آخرها (الطبعة الرابعة) عن مطابع الوفاء بيروت عام 1962 في 175ص.

2 ـ مراحل العصور الليبية؛ مع حضارات الأمم القديمة، طرابلس، مطبعة بللينوماجي، 1950م، 95ص.

3 ـ كأنك معي في طرابلس وتونس، طرابلس، مطبعة ماجي، 1372هـ، 1953م، 160ص.

(*) نقلاً عن كتاب دليل المؤلفين العرب الليبيين: 431، 432، 433. وقد استقى هذا الثبت من الببلوغرافية الوطنية الليبية ومن مقابلة مع المؤلف وما كتبه في كتابه رمضان السويحلي: 323 ـ 340.

4 ـ تاريخ ليبيا الحديث، ط 2، طرابلس، دار الأندلس 1963م.

5 ـ معالم ليبية. طرابلس، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، 1968م، 165ص.

6 ـ رمضان السويحلي، بيروت، مطابع دار لبنان 1974م.

ب ـ كتب مترجمة إلى الإنجليزية:

A short history of Libya, From the Remoted Times up to date, translated from Italian into English by Maria B. Sharkasi. Tripoli, The Government Printing Press 1962. 17 p. illus.

جـ ـ كتب مدرسية:

تطبيق النحو. طرابلس، 1946، جـ 1، 10 ص.

قواعد النحو. طرابلس، 1946، جـ 1، 16 ص.

تاريخ ليبيا الحديثة وارتباط بعرب المغرب والمشرق، مع طائفة من الصور التاريخية الهامة، طرابلس، مطبعة ماجي، 1380 هـ، 1961م. 64ص.

للسنة الثالثة الاعدادية، وللسنة الثانية بمعاهد المعلمين «قسم عام» وفقًا لمنهج وزارة المعارف الاتحادية.

جغرافية ليبيا وصلتها بالأرض وبلاد العرب. ط 3، طرابلس، المطبعة الحكومية، 1962. 52 ص للسنة الأولى الاعدادية.

تاريخ ليبيا الوسيط وأصول العالم العربي. ط 3، بيروت، مطابع الوفاء، 1963. 48 ص.

موجز جغرافية العالم العربي بأوضاعه الحيوية وخصائص بلدانه ط 3. بيروت، مطابع الوفاء، 1963م. 40 ص. للسنة الثانية الاعدادية.

أصول التربية الوطنية. طرابلس، وزارة التربية والتعليم، 1968م. 32ص. للسنة الأولى الاعدادية.

أصول التربية الوطنية ـ للسنة الخامسة الابتدائية.

أصول التربية الوطنية ـ للسنة السادسة الابتدائية.

أصول التربية الوطنية ـ طرابلس، وزارة التربية والتعليم، (د.ت.) 36ص. للسنة الثانية الاعدادية.

أصول التربية الوطنية عن ليبيا وعلاقتها الخارجية، طرابلس، وزارة التربية والتعليم (د.ت.) 36 ص. للسنة الثالثة الاعدادية.

إليك جغرافية ليبيا، للسنة السادسة الابتدائية.

تاريخ ليبيا القديم، للسنة الأولى الابتدائية.

مبادئ التاريخ، للسنة الخامسة الابتدائية.

مبادئ الجغرافية، للسنة الخامسة الابتدائية.

موجز تاريخ ليبيا الحديثة، للسنة السادسة الابتدائية.

مرآة الحضارات القديمة بتواريخها واجتماعياتها وثقافاتها[1].

(1) هذا الكتاب هو آخر ما كتبه المؤلف، ولا يزال في عداد المخطوطات وقد أثبتنا منه بعض الصفحات في الملحق.

جـ - نماذج من كتاباته الأدبية والتاريخية



نـثره الأَدبي والوصفي

في وصف مقابلة حاكم تونس محمد الأمين[1] في قصره بحمام الأنف سنة (1369/ 1949)[2] «وحظينا بالمثول بين يدي مولانا ملك تونس المعظم محمد الأمين ـ أطال الله في عمره، ووفقه بكل مسعى لخير وطنه ـ زرناه في قصره الملكي بحمام الأنف، وحين صرنا قبالته في بهوه العظيم، كان جالسًا وهو متجه نحومدينة تونس قرب نافذة فيحاء عالية، تظهر منها المزارع والبطاح السندسية إِلى أبعد مسافة، وبجانبه منضدة مرتفعة لوسائل المطالعة، وكان مرتديًا بذلة رمادية وطربوشًا سمحًا، ونظارة ذهبية، فرأيناه بهذا الزّي نموذجًا رائعًا لمن شاء أن يتعرف الملبس الوجيه. . . وهو ذو محيا أبيض مشرق، ولحيته تخال شعرها كتلة من الماس المضيء، ينم عن قوة الإرادة والحزم، واكتمال الرجولة والنشاط، طويل النجاد، وافر الصحة، وتنازل فقام مرحبًا بنا، وإِذا صوته خلق ليُسمع، وبشاشته هي من أب لأبنائه، وتلاثم الجمع يده الكريمة في اللقاء والإنقضاء، ويوم جاء دور المؤلف لهذا الكتاب خصَّه بالتفات سام دون الآخرين، لا يظفر به هنالك إِلا الحائزون منه بالقبول الأفخر، فقد منحه أن يلثم راحته النقيَّة بدلاً من ظاهر اليد، وكان عند استقباله يربت بالأخرى على كتفه، وهو يقول مرحبًا بابني مرحبًا بابني، وما أكرم نفوس سادتي التوانسة وأبنائي الطلبة الذين كانوا في هذا الحضور العالي ما أكرم نفوسهم الطاهرة؛ فقد تلافتوا

---

(1) هو محمد الأمين بن محمد الحبيب الذي أصدر عددًا من القرارات الإصلاحية، وفي عهد محمد الأمين تسلط الفرنسيون على حكم البلاد، وساقوا عدداً غير قليل من المواطنين إلى السجون والإعدام، مما حرك سواكن الأحرار فعقدوا المؤتمرات وقاموا بالثورات، ودام عهده بين سنتي (1943 ـ 1962) راجع موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها 2=2173.

(2) كأنك معي في طرابلس وتونس: 8، 9.

فرحين مشرقي الوجوه، وابتسامات الغبطة تغمر شفاههم، كأن كلَّ واحد منهم هو صاحب تلك الحظوة الخالدة، وكادت عيناي من فرط ما تناولني به جلالته من التلطف أن تفيض بالدمع، دمع الذكريات لما كنا نسمع عن الحكام الأولين، وخلفائنا السابقين، من تقدير خدمة العلم، ومهذبي النفوس، حتى رأيته رأي العين في شخص مولاي الهُمام، على أن ما نالني في هذا المثول العزيز راجع فضله إلى تحاور طلابي مع إخوانهم في الصادقية، وإلى رجالات العلم التونسيين الذين تعرفت بهم، ولم أكن بجانبهم شيئًا، وإلى مواطنينا من أبناء الجاليات الطرابلسية؛ فقد أثنوا عليَّ جميعًا بما فطروا عليه من خلق نزيه، ومحبَّة في الإسلام والعروبة وحدهما ولأنهم جميعًا ممن يعجبهم قول زهير بن أبي سُلمى:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق الاَّ صورة اللحم والدم

وما كنتُ أريد التنويه بهذا ولكنه من حق مولانا الأمين أن أنشره عظة للقارئين، وقلادة شرف لإخواني الطرابلسيين، إذ بهم نلت ذاك الفخار، وعلى أسمهم أكرمت في تلك الديار.

في وصف سوق الترك بطرابلس الغرب[1]

«ثم يمرُّ ذاك الطريق المسمَّى شارع درغوت ببرج شاهق لساعة دقاقة معطلة الآن، وقد أحدث هذا البناء وساعته الوالي التركي العظيم علي رضا باشا الجزائري[2]، ويقع البرج أمام سوق الترك، وأحسن ما في هذا السوق هو جامع محمد باشا شائب العين أحد الولاة السابقين حوالي سنة 1098هـ وللجامع باب من نوع الأخشاب الهندبة النادرة، يعتبر بزخارف حفره ونقوشه من أثمن التحف العالمية وأروعها، ولا نظير له في تونس إلا منبر جامع عقبة بن نافع في القيروان، وهذا السوق يرجع وجوده باسمه الحالي إلى أوائل الحكم العثماني بطرابلس؛ فقد جاء بتاريخ النائب[3] وهو عمدة التواريخ الليبية كلِّها ما يفيد أنه حوالي سنة 1112هـ أيام الحكم الانكشاري كان هناك رجل اسمه عثمان الدرغتلي مفتتحًا في سوق الترك مقهى، ويظهر أنه كان كثير الحفاوة والمسايرة لكبراء الجند الانكشاري؛ ففي بعض من ثوراتهم الفوضوية أخذوه ونصّبوه واليًا على البلاد ليكون ألعوبة بيدهم، وليتخذوه درئًا يتقون به تحاسد خصومهم على تولّي الأمر؛ ولقد رأى هذا السوق طيلة أيام الترك والطليان حياة بلغت غاية الازدهار والصيت البعيد، إذ كان فيها

(1) كأنك معي في طرابلس وتونس: 106، 107.

(2) ومن طريف ما سمعته من أستاذي علي الفقيه حسن ما قاله أحد الشعراء الشعبيين من آل عقيل في انتقاد هذا الوالي المصلح الذي سعى لنشر الكهرباء وأسس الساعة وغيرها:

علي باشا مهبول صحيح ... يعاند في الرملة والريح

علي باشا منه خلبوص ... دار الساعة والناقوس

(3) يشير إلى أحمد النائب الأنصاري وكتابه «المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب» وكتابه الآخر «نفحات النسرين والريحان».

مزدحمًا بالإقبال والرواج ومظهرًا لثراء التجار البائعين، ووجاهة العملاء المشترين، ففي العهد الأول كنت تجد فيه الأنفس من واردات السودان واستانبول ومصر وتونس من ريش النعام وعاج الفيلة والملابس والتحف التركية، وبطاطين الأغطية الصوفية والسجاجيد العجمية، والطرابيش العثمانية، والشاشيات التونسية والعطور الزكية، وكان في شهر رمضان خاصة ملتقى الكبراء، وموسمًا للمحليات التركية الفاخرة، وكان معظم تجاره وقتئذٍ من أعيان المدينة وجاهة وثراء، وفي العهد الثاني إِلى ما قبيل الحرب العالمية الثانية استأثرت بدكاكينه ذات الطراز الاستانبولي الطائفة الاسرائيلية المحليَّة، وبلباقتها الشهيرة بمعرفة من أين تؤكل الكتف وبما كانت تنثره إيطاليا في تعمير المدينة وقطرها من أموال بلا حساب، وبأبَّهة أبنائها في الظهور بمظاهر المجد والسعادة، بهذا كله ازداد سوق الترك أيام الإيطاليين عظمة وإقبالاً ورواجًا وغنى، وتحوَّل من حياة شرقية إلى أوصاف أوروبية، تحوَّل معرضًا لأنفس الأقمشة وأغلاها، وأفخر الملبوسات وأحدثها، وأرطب الثياب البدنية وآنقها، وإِلى كنوز من حُلى الذهب والفضة وتحف من العاج، والأواني النادرة، وقوارير من العطر الفوّاح، وزيوت للشعر المسراح، وإذا ما جاء المساء بمغيب الشمس أنابت عن أفولها ثريات الحوانيت الداخلية، ومصابيح العتبات الأَمامية، بأضواء من الكهرباء الساطعة، تحملك على أن تناجي نفسك قائلاً أأنا في ظهور الشمس أم في مغيبها، أأنا في ليل دامس أم في شروقها.

وصف قصر باردو في تونس وفسيفساء صبراته بطرابلس(*)

((وقصر باردو كائن شمالي الحنايا، ويذهب إليه الزائر بإلترام المتجه من باب سعدون إلى ضاحية منوبة، وقبل أن يصير متحفًا كان بلاطًا لملوك الأَسرة الحسنية العظام وظاهره مبني على طراز القصور التركية، وحين تدخل من بابه الرسمي إلى أرضه الفضاء تجد القصر محاطًا من أمامه وخلفه بأشجار من السرو الباسق، تتخللها حشاشٌ وأزهار متنوعة، وفي الركن الشرقي جامع بمئذنة اسطوانية كان خاصًا لعبادة أهل القصر؛ ويؤدي فيه الملوك، ورجالات الحكم صلاتهم في الأعياد الإسلامية، ويواجه القصر من الجنوب مبنى أرضي كان يشغله موظفو البلاط الخصوصيون، ويوم تطورت المباني إِلى فنونها الصحية

(*) كأنك معي في طرابلس وتونس: 106 ـ 107.

والهندسية الحاضرة، اتخذت الأسرة المالكة قصورًا جديدة، وجعل قصر باردو متحفًا جامعًا لأروع ما خلفه الفنيقيون والرومان، ولأنفس ما تركه الملوك الحسينيون من مفاخر المقتنيات النادرة، والآثار المجيدة الخالدة، ويتألف من دورين عظيمين، وغرف عليا أبوابها تشرف على فسحات كانت مساكن للحرم المصان، وتجاه الجامع من الجهة الغربية جناح أرضي ملتصق ببناء القصر ترقى إليه بسلّم رخامي، على جوانبه تماثيل أسود رابضة، وكان هذا الجناح مستعملاً للاجتماعات الرسمية بكبراء الدولة والسفراء، ورجالات الدين والأعيان، ولذلك حين تتفرج على أبهائه تجد أن كلّ واحد منها كان مخصصًا لفريق من هؤلاء المذكورين، واستبقى فيها أثاثها الرائع على نفس أحوالها الأولى، إلا ما قد تلف منه لطول السنين، أو تناولته أيدي الضياع والتغيير؛ ومن أنفس ما في أبهائه من تحف هي قاعة السفراء، وقد زينت جدرانها بأندر مجموعة من الصور الزيتية لعظماء الرجال داخل إطارات مذهبة كبيرة والملاحظ على أبنية القصر جميعها أنها تبدو من الخارج على نمط القصور الاستانبولية ومن الداخل مزجت أقسامه بالطراز التركي قليلاً وبالطراز العربي كثيرًا، والتفرج على متحف باردو ببطاقات لها ثمن معين قليل؛ ففي أقبية أطرافه الأرضية مماشٍ وردهات قد تزاحمت فيها أفخم وأجمل ما اكتشف وعثر عليه في تونس من تماثيل وآثار عهدي الرومان والفينيقيين وأكثرها راجع إلى الأزمان الرومانية، ولا يُعرف منها ما هو للفينيقيين إلا الخبراء، أو بالبطاقات المكتوبة عليها، ومجمل ما في هذا القسم هو تماثيل رخامية توحي للناظر إليها بالفكرة الصحيحة عن حياة تلك العصور بما كان لها من طبقات اجتماعية، وأشخاص عظام، وعادات جارية، وأشياء احترافية، وأدوات منزلية، وأقيمت على جدران الأَقبية عشرات من الإطارات الكبيرة والصغيرة لرسوم التنزيل الفسيفسائي الأخّاذ العجيب، وهي تمثل بجملتها وقائع حربية دامية وأسرى مكبلين بالأصفاد، وجيوشًا بفرسانها وقادتها وفيها حدائق ورياحين نضرة، ومجتمعات عامة أو عائلية خاصة، وقد جاءت مناظرها بدقة منها، واجتلاء صورها وألوانها كأنها مرسومة بريشة ميخائيل أنجلو أو رفائللو الإيطاليين أشهر نبغاء التصوير الزيتي في عصر النهضة الأوروبية، وليس رسوم تنزيلها الفسيفسائي في الحقيقة إلا جزئيات صغيرة جدًا من قطع الرخام والحجارة والآجر، على ألوانها الطبيعية المختلفة فجعل منها عباقرة فنها القدامى بالنحت والصقل وسحر التشخيص هذه المناظر وأمثالها لكي

تبقى أشكالها متغلبة على الطوارئ الجوية إلى آلاف السنين، وكانت فنون الرسم التنزيلي عند الإغريق والرومان والفرس والعرب بمثابة الآلات الفوتوغرافية الملونة في وقتنا الحاضر، وفي متحف صبراته القديمة بطرابلس روائع خالدة من هذه الأنواع ربما قد تكون من أغرب وأندر أمثالها في العالم، ففي بناية متحف صبراته الكبير قد فرشت أرضه كلها ببساط واحد من الرسم التنزيلي الفريد يُمثّل مناظر شجرية لبستان عظيم مورق الأغصان مزهر الأثمار، تخاله حين تراه نسيجًا من أيدي فارسية بارعة، صنعته من أزمان قريبة في طهران أو اصفهان، وكلّما رقيت على سلم الشرفة المطلة على وسط المتحف متلفتًا إلى ذاك البساط زادك التباعد المترفع حيوية في تصوير البساط تتجلى ألوانه، وفي بناء المتحف الصغير من صبراته ترى على الأرض إطارًا من رسومات هذا الفن المدهش مصورًا عليه رجال ونساء، ونبات وحيوان، أراد بها فنانها المبدع القديم أن يعطيك بالمشاهدة مظاهر كلٍ من فصل من فصول السنة الأربعة، بما لكلٍ منها من أَحوال زراعية وطبيعية، ووصف جميل أو موحش، ومن أغرب العجائب في هذه اللوحة وأمثالها، هو البراعة الفائقة في إختيار الأجزاء للحجارة الملونة، ثم إعطاء كلٍ لون في رسومات التنزيل من إنسان وحيوان ونبات وجماد صبغته الطبيعية الحقة، وإذا زرت صبراته فانظر من بعيد في هذا المكان إلى وجه ذلك الرجل المتخذ رمزًا لإله البحر، وإلى ترقرق محيّاه بدماء الصحة، ولون وجناته وعينيه الزرقاوين، وشعر لحيته ورأسه العابثة بهما رياح اليم القوية، ثم اقترب إليه وتأمل صورته تجد ما يخجل الناس في هذا الزمن من تفاخرهم على الأقدمين في اتقان الرسم الجميل، والتصوير البليغ، ويظهر أن مدينة صبراته العتيقة كانت في عهدها الروماني الغابر هي الموطن الوحيد لفنون الزخرفة التنزيلية بليبيا؛ ففي مدخلها الشمالي والجنوبي المطلين على شاطئ البحر تجد للآن عتبات الأبواب العمومية مغطاة ببقايا من الأبسطة التنزيلية كما يضع الكبراء الآن أمام حجراتهم السجاجيد أو قطع الكلمان النفيسة، ولو قيل لك عنها من بعيد أنها قطع من الزرابي أو الأبسطة القديمة تركها أصحابها من الزائرين سهوًا وكنت غيرفاهم لحقيقتها لصدقت الكلام وأنت ليس بملام، وتغادر قسم الأقبية من متحف باردو إلى الجزء الفوقي، راقيًا إليه من سلالم متعدّدة، صفاء رخامها يحاكي بهاء الفضة، فتجد فيه من الأبهاء والحجرات العدد الكثير في بعضها مجموعات من تماثيل القسم الأول، ومجموعات من صور التنزيل، ولوحات

عليها نقود أثرية ولكنها في جملتها أبدع منظرًا، وأرقى بنحتها وأوضاعها فنًا، وهي في الحقيقة تكملة لآثار ما قبل الإسلام، وتتحول عنها إلى أمكنة أخرى فتجدها كلّها مملوءة بتحف شرقية لم تر العين مثلها من قبل، هناك أسرجة وطبنجات وسيوف وخناجر، بعضها موشّى بالذهب والفضة الخالصين، وهناك أسلحة بمقابض ملوّنة، ولها أغماد مزخرفة بذينك المعدنين النفيسين، أو مجرَّدة من الحلية، وهي مغلفة بأبدع الجلود صناعة، وهناك صدارات وأردية وسراويل وقمصان للأمراء والأميرات من القطيفة الناعمة طرزت حواشيها بالأسلاك الفضية والعسجدية فجاءت تتحدث بما للشرق من روعة النسيج، وفنون التزيين، وهناك مقصورات وأبهاء وحجرات وفسحات ومماش وأروقة أخذت من كلِّ فن عربي سحرًا، ومن كل فن تركي أبهة، ومن كل فن غربي فتنة.

مشكلة فلسطين(*)

«وعد بلفور المشؤوم: ولا غرو بذلك فإن فلسطين للوطن العربي بمنزلة الرأس للجسد، وما دام يحتلها الأعداء فلا اطمئنان لبلدانه الأخرى على حياتها؛ فقد جلعتها بريطانيا (سنة 1917) بوعد وزير خارجيتها (بلفور) وطنًا قوميًا ليهود العالم مكافأة لهم على مساعداتهم الفعالة لها في الحرب العالمية الأولى ضد خصومها تركيا وألمانيا.

ثم نفذت وعدها لهم (سنة 1920) حين نالت من عصبة الأمم السابقة (بسويسرا) انتدابها الرسمي على فلسطين، بأن تركتهم يهاجرون إليها باستمرار، إلى أن أصبحوا ما بين سنتي (1920 و1948م) متساوين في العدد لأهاليها العرب، ومنتزعين منهم بالأساليب الماكرة، وتشجيع الاستعمار معظم أراضيهم الساحلية الخصبة.

الثوران العنيف ضده: ـ

وفي هذه المدَّة كلِّها، لم يقصر بتاتًا أبناؤها ولا العرب الآخرون في بذل محاولاتهم لإلغاء الوعد المشؤوم، ومنع الهجرة اليهودية بأقوى الاحتجاجات السياسية، وبأعنف الثوران الدموي على الانجليز، وعطلوا الاقتصاد الإسرائيلي بالإضرابات الطويلة عن العمل، ولا سيَّما ذاك الإضراب الذي انقطع فيه عرب فلسطين عن الحركة الاجتماعية والمدرسية مدَّة ستة أشهر كاملة وهي الأيام (من ابريل إلى أكتوبر سنة 1936).

(*) حديثه عن مشكلتي فلسطين والجزائر منقول من كتابه أصول التربية الوطنية للسنة الثالثة الاعدادية من ص 12 إلى ص 16.

اللجان والكتاب الأبيض: ـ

وكانت بريطانيا كلَّما اشتدت عليها في فلسطين هذه الحوادث الخطيرة، واَستنكر العرب سياستها ومحاباتها لليهود، تحتال عليهم حتى يهدأوا، مرةً بإرسالها لجانًا من لندن تتظاهر بالتحقيق للإستجابة لمطالبهم، ومرَّة بتصريحاتها في (الكتاب الأَبيض) الذي أَصدرته في سنتي (1922 و1939م) بمنع اليهود عن شراء الأراضي، وصد هجرتهم بصفة إنهائية ومرَّة باستجابة تقسيمها إِلى دولتين عربية ويهودية عملاً برأي الأكثرية في هيئة الأمم، والواقع أَن بريطانيّا كانت ـ سرّا ـ مصمّمة على تسليم فلسطين لهم، ومقدّمة لذلك أسلحتها في الحرب العالمية الثانية، بجميع الأجهزة النارية الفتاكة، بينما جردت أهل فلسطين من أية وسيلة للدفاع عن أنفسهم.

الكارثة ودولة اسرائيل:

وفجأة (يوم 14 مايو سنة 1948) وقعت على أهاليها خاصة وعلى العرب عمومًا أعظم كارثة حلّت بهم في تاريخ وجودهم إِذ انسحبت فيه بريطانيا من فلسطين بغتة، وتركت اليهود بتلك الأسلحة الجهنمية، يغزون مدن وقرى العرب، يذبحون ويقتلون رجالها، وشبابها ونساءها وأطفالها، وهم عزل من أي سلاح.

وما برح اليهود يريقون الدماء على هذا الوصف إلى أن أفنوا منهم عشرات الألوف، وفرَّ أكثر الأَحياء متشردين في الآفاق، واستولوا على ما كان لهم من أموال وخيرات وأملاك، ثم أعلنوا لهم (دولة اسرائيل) واعترفت بها أمريكا بعد إِعلان قيامها بعشرة دقائق.

محاربة العرب لإسرائيل:

وتسارعت دول الجامعة العربية بجيوشها وأبنائها المتطوعين من كلِّ بلد نجدة لإخوانهم الفلسطينيين، ورغبة في إنقاذ وطنهم العزيز، والتحم هناك الفريقان (العرب واليهود) بمعارك طاحنة من عكا شمالاً إلى غزة جنوبًا، ومن القدس شرقًا إلى اللد غربًا حتى كادت جيوشهم تدخل (تل أبيب عاصمة اسرائيل) ولما كاد النصر المبين يأتي بجانبهم، وابتدأت دولة اليهود تحتضر أَنذرت الدول الاستعمارية العرب الغزاة إن لم يرتدوا عن إسرائيل إلى خطوط

حديّة عينتها لهم؛ فتستنزل قواتها لصدّهم عن ذلك بالحرب، وكان العرب جميعًا ينقصهم وقتئذٍ السلاح القوي، والتجهيزات الحربية الكاملة فارتدوا بجيوشهم عن تلّ أبيب إلى حدود إسرائيل المعينة؛ ثم بتأثير النفوذ الإيجابي للدول المستعمرة الكبرى في هيئة الأمم بأمريكا، ارغموا في جزيرة رودس على قبول الهدنة مع اليهود، وما برحت فلسطين المنكوبة على هذا الوضع الأليم، ولم تزل دول الجامعة العربية مصرَّةً على حلٍّ مشكلتها بإرجاع إهاليها إليها، وإنقاذ وطنهم المغتصب من اسرائيل.

مشكلة الجزائر

والجزائر مشكلتها لا تقلُّ أهمية عن فلسطين، إذ أنها منذ أزيد من قرن، وهي في قبضة الاستعمار الغشوم، والعبء الأثقل الآن في محاولة الخلاص منه يقع على كواهل أبنائها المجاهدين، ويليهم في تحمله دول الجامعة، وأفراد شعوبها.

الاحتلال الفرنسي ومقاومته: ـ

ولكونها من أغنى البلاد العربية بالثراء الطبيعي والزراعي ويبلغ تعدادها نحو أحد عشر مليونًا، اجتاحتها فرنسا سنة 1831م، وما كادت تطأ أرضها حتى ناضل الجزائريون جيوشها الكثيفة بقيادة أميرهم عبد القادر مدَّة خمس عشرة سنة، واستمروا على مكافحتها بلا توان من ذاك التاريخ إلى قيام ثورتهم الحاضرة.

قساوة استعمارها للجزائر:

وفي أثناء (128) سنة من احتلالها شاهد الجزائريون من مصائب حكمها ما يشيب لهوله الطفل الرضيع.

(أ) حوَّلت أكبر جامع في مدينة الجزائر إلى كنيسة.

(ب) أَخذت ريع أوقافهم الإسلامية لخزينتها.

(ج) انتزعت أخصب أراضيهم ومنحتها للفرنسيين.

(د) حرمت عليهم التعليم باللغة العربية.

(هـ) فرضت عليهم سنة 1919 الجنسيَّة الفرنسية.

(و) جعلت الجزائر قسمين: الشمال الراقي للأوروبيين، والجنوب الصحراوي لأهل البلاد.

(ز) جنّدت في الحربين العالميتين خيرة شبابهم، ووضعته في المقدمة تحصده نيران الألمان.

(ح) في سنة 1945 قتلت منهم عشرات الألوف، انتقامًا لمطالبتها بانصافهم.

قيام ثورتهم الكبرى:

ويئس الجزائريون من التفاهم مع فرنسا؛ فوطّدوا أَخيرًا عزمهم على نضالهم المسلّح إلى أن يظفروا بحريتهم أو يموتوا في وطنهم كرامًا، وكان ابتداء ثورتهم الكبرى يوم أول نوفمبر 1954، وقد شملت جميع أنحاء الجزائر، واشترك فيها أبناؤهم جميعًا - رجالاً ونساء، شبانًا وفتيات.

وعلى الرغم من أن فرنسا اعتبرت نفسها في هذه الثورة الجبَّارة كأنها تحارب دولة قويَّة فقابلتها بكافة أسلحتها الحديثة المتنوعة، وبمليون جندي وبخط موريس المكهرب على حدود تونس، وبالتقتيل الإجماعي، ومع كلِّ ذلك فإن نيرانها ما برحت مستعرة في وجهها، وقد وجدت من الجامعة العربية، وأبناء العروبة كلَّ عون مالي وعتادي وسياسي، وخاصة من ليبيا وتونس والمغرب العربي.

مظاهر خطورتها ونجاحها:

وبلغت من خطورتها على فرنسا:

(أ) أنها أسقطت لها عدَّة وزارات.

(ب) كانت سببًا في حدوث إنقلاب عسكري لها في الجزائر، وقيام جمهوريتها الخامسة برئاسة الجنرال ديغول.

(ج) بعد أن تصلَّب ديغول باعتبار الجزائر قطعة من فرنسا أضطر لاشتدادها إلى أن يعترف لأبنائها بحق تقرير مصيرهم.

وأما نجاحها فقد أدَّى بالدول الآسيوية والإفريقية لإدخال القضية الجزائرية إلى هيئة الأمم، ومطالبة فرنسا بمنح أبنائها الاستقلال، وفي 19 سبتمبر 1958

أعلنوا (الجزائريون) الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وسرعان ما اعترفت بها دول الجامعة العربية، وغيرها من دول العالم.

جهود ليبيا بهذا المضمار:

وقد ساهمت ليبيا مع الجامعة في مشكلتي فلسطين والجزائر المساهمة الفعالة المخلصة، ونشير إلى بعضها تلميحًا على سبيل المثال فقط: -

1 -

(أ) ففي المشكلة الفلسطينية: تطوّع مئات من الشباب الليبي في حرب فلسطين سنة 1948م.

(ب) وفي داخل البلاد تظاهر شعبها كثيرًا لنصرتها، ويحيي ذكراها في كلِّ عام.

(ج) ولما انضمت ليبيا للجامعة رسميًا نفَّذت قرارها بمحاصرة إسرائيل اقتصاديًا.

(د) ومتفقة معها تمامًا بعدم الاعتراف بتاتًا بدولة اليهود.

(هـ) ومتمسّكة بإرجاع الفلسطينيين إلى وطنهم.

2 -

(أ) وفي المشكلة الجزائرية، تقيم كلَّ عام أسبوعًا تجمع فيه تبرعات ماليَّة جسيمه لمساعدة الجزائر المكافحة.

(ب) كانت أسبق الدول اعترافًا بحكومة جمهوريتها المؤقتة.

(ج) تضمُّ مركزًا رئيسيًا لهلالها الأحمر الجزائري له في دواخلها فروع أخرى. ويساعده الشعب الليبي دائمًا بالنقود والثياب وغير ذلك إعانة منه لإخوانه الجزائريين المشردين.

(د) تأوي مدينة طرابلس وغيرها كثيرًا من أبناء الجزائر معتبرة إياهم أفرادًا من شعبها الصميم.

الملحق

1 ـ صورة إجازة التدريس من دار العلوم.

2 ـ آخر نموذج من خطه فيما كتبه في آخر مؤلفاته «مرآة الحضارات القديمة».

3 ـ صور فوتوغرافية للفقيد.



الدولة المصرية

وزارة المعارف العمومية

إجازة التدريس

نحن وزير المعارف العمومية

بعد الاطلاع على القرار الصادر من الوزارة بتاريخ [illegible] أكتوبر سنة ١٩٣[illegible] رقم ٤٢١٦ ، أمرنا بإعطاء هذه الإجازة الشيخ محمد مسعود فشيكة بن السيد مسعود فشيكة المولود في القواهدة طرابلس الغرب في [illegible] سنة ١٩١[illegible] الميلادية الذي جاز امتحان إجازة التدريس لدار العلوم في سنة ١٩٣[illegible] ، ليكون له حق التمتع بما تخوله القوانين ، والأوامر المتبعة .

القاهرة في [illegible] شعبان سنة ١٣[illegible] ، و[illegible] نوفمبر سنة ١٩٣[illegible]

وزير المعارف العمومية

كل كشط أو تغيير في هذه الشهادة يلغيها

قيدت بمدرسة دار العلوم برقم ٢٦ — ناظر المدرسة

أعطيت هذه الإجازة في [illegible] / ١١ / ١٩٣[illegible]

توقيع صاحب الشهادة باللغتين العربية والإفرنجية

محمد مسعود فشيكة

Muhamed mosud Fechica

مدرسة دار العلوم

مرآة الحضارات القديمة

بتواريخها واجتماعياتها وثقافاتها

تأليف

محمد مسعود فشيكة

الطبعة الأولى

١١٨ [illegible]

[illegible]

وإن هذا [illegible] كتاباً في مرآة الحضارات القديمة أرجو أن يكون قراؤه

قد تمتعوا واستمتعوا به كثيراً. علمياً وأدبياً وأخلاقياً وتاريخياً، وإنه

[illegible] الحضارية. [illegible] الحديثة والوطن

[illegible] الحرية [illegible]

ذكر المصادر ومراجع الكتاب

العرب قبل الإسلام
للأستاذ الشيخ محمد فخري الدين
الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها
لوزارة التربية والتعليم [illegible]
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
للعلامة الشيخ محمد أحمد المقري
تاريخ الحضارة العربية الإسلامية
للدكتور [illegible] عبد الرحيم [illegible]
تاريخ الحضارات الشرقية القديمة
ترجمة للدكتور أحمد فخري المصري
تاريخ [illegible] العام الجزء الأول
[illegible] مسعود خشيكة

فهرست موضوعات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

هذا الكتاب من وجهت له ، الأكثر من المؤلفات
الفنية ، الشاملة أنجاز على أعرف ، الحضارات
الإسلامية القديمة ، في عصور ما قبل التاريخ الميلادي
[illegible] التي أخذنا منها ، أثناء أبحاثنا هذا الكتاب
[illegible] ما اقتصار من عددها كاملة ، ذكرنا بعضها [illegible]
في الصفحة الأخيرة.

ويحتوي الجزء الأول لتاريخ ليبيا العام ، الذي نشر
سابقة بمعارف طرابلس الغرب سابقا ، بجريدة [illegible]
الرسمية الناطقة ، والتي نشرت عليه في جريدة [illegible]
طرابلس الغرب الرسمية في عددها الصادر يوم
(٢ يناير سنة ١٩٤٩م).

ذكرت فيه تمدن عند الليبيين القدماء ، و حضارتهم
و[illegible] بوادي النيل ، وما أسسوا فيه دولة
ليبية ، كانت أول ملوكها شيشنق الأول كما سيأتي
إيضاحه . وذكر أثر الحضارات الثلاث الفينيقية
واليونانية والرومانية بليبيا ، حيث استولوا عليها
بالتتابع ، في شتى من البلاد ، [illegible] مدى
ما استفادت ليبيا من حضارات هؤلاء ، [illegible]
[illegible] والنشاط اجتماعيا واقتصاديا
وما تناوله الكتاب بصفة عامة ، [illegible] حضارة

غالبا وأربعة منها نشأت في العصور الوسطى
وهي حضارة العرب الأندلسية والحضارة [illegible]
والحضارة الفاطمية وحضارة المماليك.

أهمية التاريخ للحضارة

التاريخ يصف أحوال الأمم الماضية ، ويذكر
ما كان لها من الحروب والملوك والبنيان ، وما تخلف
من [illegible] ، وكيف [illegible] ، وكيف زالت
من الوجود ، ونحن نقرأه لنستفيد من تجارب
الذين عاشوا قبلنا ، ولنقتدي ببعض العظماء
الذين [illegible] بالأمانة والإخلاص
و[illegible] مأخوذة من الكتب القديمة والحديثة
ذات الإسناد الصحيحة ، ومن مدلولات المعاني
الأثرية ، وأطلال المدن القديمة ، [illegible]
[illegible] على الحوادث الكبيرة ، التي [illegible]
حياتهم ، كولادة سيدنا عيسى وهجرة نبينا محمد
من مكة إلى المدينة المنورة.
[illegible]

احتفاء عاصمة الامويين بأمير الشعراء

أقام المجمع العلمي الموقر بدمشق حفلة ... لامير الشعر احمد شوقي بك مساء السبت اول الجاري فازدحمت ردهة المجمع بالمحتفلين وعند حضور المحتفل به ارتفعت أصواتهم بالهتاف والتصفيق الحاد وما كاد يستقر به المقام حتى وقف سعادة رئيس المجمع العلمي والقى كلمة ترحيب واحتفاء ثم عقبه كبار الكتاب والشعراء وجاد كل منهم بكلمته ومن ثم تطاولت الاعناق لاستماع قصيدة امير الشعر فناب عنه بالقائها السيد نجيب الريس فقاطعها الجمهور الغفير بالتصفيق الحاد واستعادوا معظم أبياتها

وترى في الصورة الى اليسار شوقي بك حين دخوله ... ومعه الدكتور ... (٢) ...



... يوسف حبشي ميشيل غصن الذين قاموا باحياء هذه ... لة ونالوا اعجاب الذين شاهدوها

... في مصر الذين يستعدون لبطولة القطر المصري في سنة ١٩٢٥ وهم البطل العالمي انور ... محمد بطل القطر الاول و... ابو سنه بطل القطر الثاني . وقد يتنحبون لمباراة برلين القادمة

الرحلة و... المرحلة

السيد محمد مسعود مشيكة الذي نجح بتفوق ونال اجازة تدريس دار العلوم العليا وهو اول طرابلسي يحمل هذه الشهادة فنهنئه

الاستاذ حافظ عام رئيس قسم تفتيش الركاب بمصلحة الجمارك اشتهر بدماثة الخلق وتسهيل مهمة كل راكب وهو موضع ثناء الجميع

الشاب النشيط كمال افندي ميخا قبل متعهد اللطائف المصورة والعروسة والصحف والجرائد العربية بواد مدني بالسودان

اللطائف المصورة ... ١٩٢٥

مصادر ومراجع
التقديم والتوثيق

1 ـ المصادر : ـ

راجع مؤلفات المترجم له المذكور عقب تحقيق اللمحة أو الخلاصة العامة عن حياته بعنوان مؤلفاته وآثاره القلمية.

2 ـ المراجع : ـ

- الأعلام.
خير الدين الزركلي - بيروت، دار العلم للملايين ط 5، 1980.
- أعلام ليبيا.
الطاهر أحمد الزاوي ـ مصر ـ مطبعة عيسى الحلبي، 1381 ـ 1961.
- تقويم دار العلوم (العدد الماسي صدر لمرور 75 عامًا على المدرسة 1872 ـ 1947).
- جواهر الأداب في أدبيات وإنشاء لغة العرب.
- السيد أحمد الهاشمي - مصر ـ المكتبة التجارية الكبرى ط 21، 1964.
- دليل المؤلفين العرب الليبيين.
لجنة ـ ليبيا، أمانة الإعلام والثقافة، 1977.

دمعة وفاء «كلمات وقصائد في تأبين فقيد البحث العلمي الأستاذ عمرو سعيد بغني. إعداد مختار بن يونس ـ الجماهيرية ـ مركز الجهاد 1996.

- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري.
تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط 2، 1376 - 1956.

- روايات شفهية من المترجم ومن معاصريه.

- الشهيد.
مجلة دورية يصدرها مركز الجهاد، العدد 3 - 1982، بهجت القره مانلي «أساتذة المدارس العربية في مدينة طرابلس سنة 1934.

- كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1935 - 1950.
تيسير بن موسى - ليبيا، مركز دراسة جهاد الليبيين - 1983.

- مصادر الدراسة الأدبية 1 - 3.
يوسف أسعد داغر - بيروت - المكتبة الشرقية، 1972.

- المعاصرون.
محمد كرد علي - سوريا - مجمع اللغة العربية - 1401 - 1980.

- معجم البلدان الليبية.
الطاهر أحمد الزاوي - ليبيا، دار مكتبة النور 1388 - 1968.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
محمد فؤاد عبد الباقي - بيروت، دار الفكر - لاط - لات المنتخب من أدب العرب 1 - 3.
طه حسين وآخرون - القاهرة - المطبعة الأميرية، 1936.
موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها. د. شاكر مصطفى، بيروت، دار العلم للملايين 1995.

- وثائق المترجم (الموجودة لدى أسرته، وفي شعبة الوثائق والمخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية).

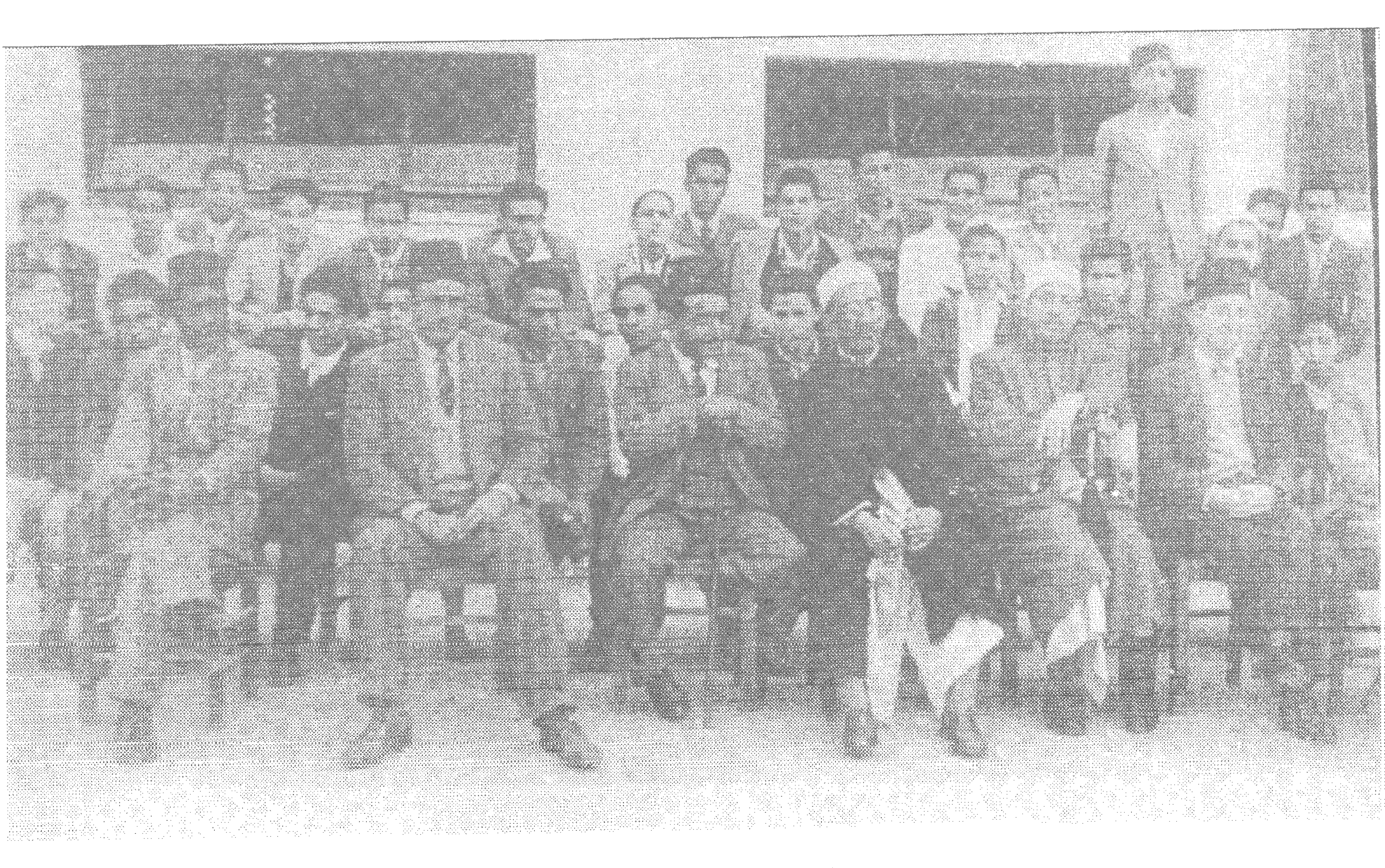
- الوفاء (كلمات وقصائد في تأبين فقيد العلم الأستاذ عبد الله الهوني).
مجموعة من الأساتذة والطلبة، ليبيا، مركز دراسة جهاد الليبيين، 1989.



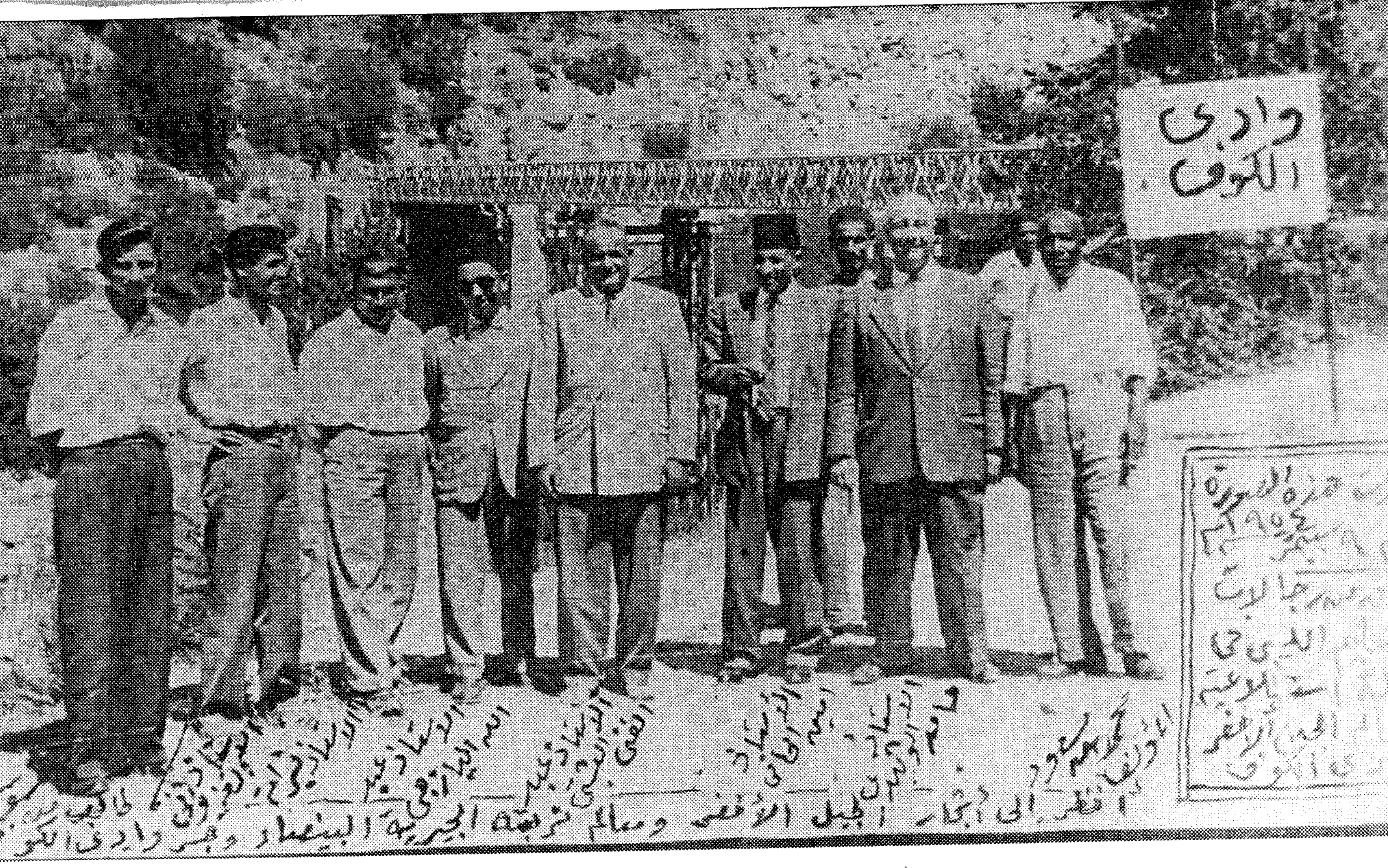
صورته في أثناء تحصيله بالأزهر الشريف



صورته في ردهة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1925 بمناسبة احتفاء عاصمة الأمويين بأمير الشعراء أحمد شوقي المشار إليه بالسهم على اليسار.



صورته مع بعض رجال التعليم وهم من اليمين الأساتذة: أحمد ساسي والطاهر سبيطه ومحمود المسلاتي والهادي عرفه ومحمود البشتي



مع ثلة من رجال التربية والتعليم في وادي الكوف سنة 1954.

فهرس الموضوعات